الجلد الثاني من تفسير كشاف

نسخه ٢٢

ثاني من الكشاف

٢٢

الحمد لله ... والرحمن انتقل الى ... ٧٦١
من الحواشي والفوائد ...
... العلامة محي الدين القصابه
وارسم لكل من خطي العلامتين
بالشين والفاء

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قرائته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

٢٤٧

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين صاحب القرانين ... السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان ... خادم الحرمين الشريفين ... اكرمه الله تعالى ... الحاج احمد ... المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

خط ف

الرفادة كانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم
من اموالهم الى قصي بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج
ياكله من لم يكن له سعة من اهل الموسم

هر كه ظفر برد ... دعا ...

اللهم منزل البركات ومجري السحاب وهازم الاحزاب
اهزمهم وانصرنا عليهم

هر كه ... عظيم ...
... الوجه الحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد
وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها
قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس
واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى
عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها
من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما
نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان و
تفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب
في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه والمعنى خلقكم
من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء و
بث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى
بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس
واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت
لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل
شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر
عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في
كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها واراد بالتقوى تقوى خاصة
وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم

يدل ح

والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من
ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه
وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث
منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون
به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون بطرح التاء
الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا
على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم
فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره
قراءة من قرا تساءلون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات
الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان
تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة
ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر
وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور
كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي
الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة
فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه
وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما
لم يقو الاتصال بتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير
الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب
والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على
معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون
بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي

على حكاية حال ماضية

تسلون

اي الضمير اشد اتصالا من الظاهر وكان الاتصال متكررا بخطف به لانه لم ح

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا
كبيرا

خلقكم واتقوا الذى تناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها
او واتقوا الله الذى تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن
عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه
واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روى
عن ابن عباس رضى الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل
بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة
عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك
ان يضع ولده فى الحلال الم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به
والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه
ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه
موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله هم اليتامى الذين مات
آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة
وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهايم من قبل الامهات
فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت
فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادى الآفات والاوجاع ثم
يجمع فعلى فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجرى اليتيم مجرى الاسماء
نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم
ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه
قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم
عن كافل وقايم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم
زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم ابى طالب

من نسخة شيخ خطه ... العلامة ... مصدر ... وهو المنعطف ... يقول العرب ... لا ... الدين

قال صاحب الكشاف رحمه الله ... روضة ... للشريف ... البدور ... الاطلال ... حبيش ... على ... وصى ... خط شرح

اما على القياس واما حكاية على الحال التى كان عليها صغيرا ناشيا فى حجر عمه
توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة
يعنى انه اذا احتلم لم يجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى
قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار
وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء
وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتى اليتامى اذا بلغوا سالمة غير
محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم
اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان
لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد
وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هى فى رجل
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه
عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه فنزلت فلما سمعها العم قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله
اليه فقال النبى عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره
يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى
الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا يا رسول الله
قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله
فقال ثبت اجر الغلام وبقى الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح
لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا
الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها
والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى

نفسه ... ٤ شرح

الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين
تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار
واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان
يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل
الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا
تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة
بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل
مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت
لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم
على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك
فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم
ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا
عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ
حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت
الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم
الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من
ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك
العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل
بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه
وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه لانه انما وجب ان

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ذلك ادنى الا تعولوا
او ما ملكت ايمانكم

يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل
كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم
ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا
حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد
من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن
ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيم على
القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء
على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم
ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى
او ما ملكت ايمانهن مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة
وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن
تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع
ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي
اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى
وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل
ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا
المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو
افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت
كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين

قال رضي الله عنه التبدل هو ان يأخذ شيئا لنفسه ويعطي آخر مكانه والتبديل هو التغيير وهو ان يضع شيئا مكان شيء لها بدلت وما تبدلت بخط شر

هي امرأة ابي ايوب نزلت ... رسول الله وهو الغليظ على ابي ايوب في طلاق امراته كان فيه فوت اللطف عنده بخط ف

ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ص

بالنصب اي مزيدة زيادة مثلها بخط ف

ما ههنا جار لانه العلامة من سوال عن الذات وما سوال عن الصفة بخط شر

يجرين مجرى بخط شر

اي الجميع الناكحين بخط شر

درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور على العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرى فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤونة من المهاير لا عليك اكثرت منهن او اقللت عدلت بينهن فى القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابى عبلة من ملكت هو ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى هو ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه اذا جار وروى ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال

والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى اخيك سوءا وانت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا فى علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو ما فى المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده صدقاتهن مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرى صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرى صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك فى ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابى بكر رضى الله عنه انى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات

اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده
وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان
ينتحل كذا اى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها
ويجوز ان تكون حالا من الصدقات اى دينا من الله شرعة وفريضة والخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون
هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك
اى تعظمه هو الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء
من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن
الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد
توليع البهق فقال اردت كان ذاك ويرجع الى ما هو في معنى الصدقات
وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله
فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها
لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا
من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن
الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له
ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسها وعن الشعبي ان رجلا
اتى مع امرأته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب
ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فان
طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت
ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته
الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك
بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية

اى المعظمة لمالك بخط ف

فيها خطوط من سواد وبلق ... قوله

نفسها نخ شر

بكسر الصاد افصح نخ شر

التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب
الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت
ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي
ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله
تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا
وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني
الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى
هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل
فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد
لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت
زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون
متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات
واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد
عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم
المعدة المريء لمرؤ الطعام وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اى اكلا
هنيئا مريئا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنيء مريء وقد توقف على
فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين
كانه قيل هنئا مرءا ومنه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة هو السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي

فوصفهما على الدعاء وعلى انهما صفتان كلوه واحد بخط ف

المبذرين نخ لدانشر

لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاوليا واضاف الاموال
اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما
ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاوليا فى اموال اليتامى
وارزقوهم فيها واكسوهم هـ جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون
ولو ضيعتموها لضعتم فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وروى قيما بمعنى
قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرا عبدالله بن عمر قواما بالواو وقوام
الشىء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال
سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى
الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو عباس
بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتنى من الدنيا
لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج
احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى
دكانك هـ وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا
حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر
لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبى رجل او امراة يعلم
انه يضعه فيما لا ينبغى ويفسده هـ قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان
صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان
غنمت فى غزاتى جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته
فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته
لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت عنه
لقبحه فهو منكر هـ وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم
بالتصرف قبل البلوغ حتى تبينتم منهم رشدا اى هداية دفعتم اليهم اموالهم

اى عدوا الفسق عن ربكم انفسكم حثهم على حفظ مال الغير كحفظ مالهم وكذلك حفظ انفس الغير عن القتل كحفظ انفسهم

اذا م

من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح
فاستعير للتبين واختلف فى الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابى حنيفة
واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجىء منه
والرشد التهدى الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح فى العقل
والحفظ للمال وعند مالك والشافعى الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه
فى الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح
فى الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس منه
رشد الى حد البلوغ قلت عند ابى حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس
وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانية عشر سنة فاذا
زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لقوله
عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم
يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت
ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد فى
التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام
الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى
الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها
الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة
اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط
وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا
النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم

فى ٤ نسخ

فما — كذا فى ٤ نسخ

كذا فى ٤ نسخ

ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم

اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم
قال ... احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا
بضمتين هما اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى
فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان
يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه
الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا
محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من اختلاف
ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه
قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من
لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها
يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده
مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان
والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم
البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر
ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن
والظهر ويلبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر
قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني
انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت

اوله خلا ان العتاق من المطايا ... احس به فهن اليه شوس ... والضمير للحج

قوله اسرافا وبدارا مصدران مفعول لهما وقيل هما مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين والبدار مصدر بادرت

فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء

وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف
ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة هـ فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد
وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه
صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي
لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف
المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة هـ وكفى
بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا
فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب هـ الاقربون هم المتوارثون
من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك
بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني
نصيبا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان
ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة
روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلاث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن
وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث
الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة
الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت فقال ارجعي حتى انظر ما
يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام
كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم هـ واذا حضر القسمة اي
قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان

الصامت خطاف

موضع بالمدينة خطاف

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمه اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ولـ

والاقربون وسواء على التذنيب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون
ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هولاء فرضخوا لهم بالشى من رثة المتاع
فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ان عبد الله بن عبد
الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضى الله عنها
حية فلم يدع فى الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على
الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير
ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول
المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم و
يستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى ادركنا الناس
وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب
فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه
ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك لكم وما فى حيزه صلة
للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم
من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان
يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة
ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون
الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه
بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا
للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى
والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين

للوارث خطاب

خذوا

فيكم ح

الى

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع
لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم
وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم
خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد
زاد الحيوة الى حبا بناتى انهن من الضعاف احاذر ان يرين البوس
وان يشربن رنقا بعد صاف وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى
وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم
كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى و
يا ولدى ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية
لا تسرف فى وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله لسعد انك ان
تترك ولدك اغنياء خير لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس
وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث
وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم
ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم
من اولياء السوء وقضاته فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه
وفى بعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ومعنى
ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار فى الحقيقة وروى
انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فمه
وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا
وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا
نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم
فى اولادكم فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال

رمهم

بعدى

وان يعرين ان تكسى الجوالك فتنبو العين عن كرم عجاف بخطه

اولادك نخ

فان زمانكم زمن خميص

بخطه

فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

تفضيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصدا الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله مثل حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن

اقيس كلا
الضم لغة اهل الحجاز وهو في الثلث والربع والثمن
كشاف

للذكر م

كلام مسوق لبيان حظ الذكر [والاناث] من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين

نساء ومسوقا لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كأنه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل فان كانت امرأة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين بغير تفاوت امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها

او احكام قوله واحدة

الثنتين محرر ... [illegible]

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فلامه الثلث

لها الثلث ح

الثلث كانت اجرى ان تحجب اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها
معها مثل ما كان تحجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لها الثلث
ه ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة
هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه
ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى
خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واى فايدة في ذكر
الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال
تاكيدا وتشديدا كالذى تراه في الجمع بين المفسر والتفسير ه والسدس مبتداء
وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة
السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن ه والولد يقع على الذكر والانثى
ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر اعطاء السدس فان قلت
قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل
فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واى فايدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه
فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد
منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام
ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس
والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان
قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال قلت فيه وجهان
احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية
في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف
عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب
لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت

بالاب على السدس
وان كان انثى عصب
ح

... له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين اباؤكم وابناؤكم

زوجا وابوين فاعطى للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام
سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ
(اى صار حظ)
الذكرين ه فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث
وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس
ويستوى في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون
السدس الذى حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين
والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية
كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل
بالاخوة عليه وقرى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا
ابن مريم وامه اية ه من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصى بها
وقرى يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان
قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او
كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت
لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت
الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما
يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط
بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا
على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جى بكلمة او للتسوية بينهما
في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله ه اباؤكم وابناؤكم اى لا تدرون من
انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعنى ان
من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم

تفيد ح

الذين ح

لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين
بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية

نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة
اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان
كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب
الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل
ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون
في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة
ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة
وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا
كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شي
من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية
ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض منه ويناسبه والقول ما تقدم
ه فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان
عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ه
فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل
بحق الازواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في
الربع والثمن ه وان كان رجل يعني الميت ه يورث من ورث اي يورث
منه وهو صفة لرجل ه وكلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من
الضمير في يورث وقرى يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء
للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت ينطلق
على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة
من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما
صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو

يوصون بها او دين ان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله

في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه

خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة

اي ما ورث المجد من جهة الولادة بخلاف

اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم

وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة
الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي
كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة
كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة
في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل
الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث
على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث
لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع
قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا
رجع الضمير اليهما افاد استوائهما في حيازة السدس من غير مفاضلة
الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك
اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت
بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن
الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ
فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء
والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث
وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت
من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما
استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة
من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ان ههنا لما جعل للواحد
السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام

عمامة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا

صحاح رجل هجاجة احمق ورجل فقاقة احمق هذرة وكذلك فقفاقة

لا الموروث ٤٣

وفيها ١٦

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين

والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم ﴿غير مضار﴾ حال اي الام يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار ﴿وصية من الله﴾ مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان يكون منصوبا بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة ﴿والله عليم﴾ بمن جار او عدل في وصيته ﴿حليم﴾ عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت فيم يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث وكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي منتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها ﴿تلك﴾ اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ﴿يدخله﴾ قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا

اخوة اخياف امهم واحدة وآباؤهم شتى والاخوة اعيان بنو اب وام وبنو العلات اولاد الرجل من نسوة شتى كشاف

يعني به المعهود في قوله وان كان رجل يورث كلالة كشاف

اي وهو غير مضار كشاف

وخالدين حالا على اللفظ وخالدا على المعنى وانتصب م

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما﴾

صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلابد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ﴿ياتين الفاحشة﴾ يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح ﴿فامسكوهن في البيوت﴾ قيل معناه فخلدوهن ومن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ﴿او يجعل الله لهن سبيلا﴾ هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن ﴿واللذان ياتيانها منكم﴾ يريد الزاني والزانية ﴿فآذوهما﴾ فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله ﴿فان تابا واصلحا﴾ وغيرا الحال ﴿فاعرضوا عنهما﴾ واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد ﴿فان تابا﴾ قبل الرفع الى الامام ﴿فاعرضوا عنهما﴾ ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد

ان بين فخلدوهن محبوسات

ان ل وتقريعهما

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت

التوب هو التوبة من تاب الله اذا قبل توبته وغفرله يعني انما القبول والغفران
واجب على الله تعالى لهولاء هو بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع حضرة الموت
الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت
الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل
ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن
النخعي ما لم يوخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن
الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام
روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان
قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي
يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا
فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله
فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة
على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك
يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة
كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين
يعملون السيات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين
ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان الميت
على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزته

عن جهالة من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل ح

مجرى التفسير خطف

ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة

كل واحد منهما او ان التكليف والاختيار هو اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير
قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة
فان قلت من المراد بالذين يعملون السيات اهم الفساق من اهل القبلة
ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله
وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان
تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله
قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت هو كانوا
يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن
ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه
عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
اي تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات
لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن
حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة
ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع
فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
هو الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج
واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد
عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن
الفاحشة الزنى فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا

فليمت ان شاء ح

ان ح

المواريث

ان ح

وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم
احدهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا

اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن
ابى قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن
قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدى منه يعنى وان زنت وقيل
نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول هـ فان
كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس
ما هو اصلح فى الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد
ذلك ولكن للنظر فى اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف
امرأة بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية
هـ والقنطار المال العظيم من قنطرت الشئ اذا رفعته ومنه القنطرة لانها
بناء مشيد قال صفت قنة كقنطرة الرومى اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
وعن عمر رضى الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق
النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتى عشرة اوقية
فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله
لنا والله يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال
لاصحابه تسمعوننى اقول مثل هذا فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من
اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برئ
منه لانه يبهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين
وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا
هـ والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا

غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد
قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولى عند العقد انكحتك على ما فى كتاب الله من امساك بمعروف
او تسريح باحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا
فانهن عوان فى ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
هـ وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل
فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح ممقوت فى المروة ولا مزيد على
ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة
وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة
من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل
الله بالرفع على انه فى موضع الحال هـ وآتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ
فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب
عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا
ان تعضلوهن فان قلت اى فرق بين تعديه ذهب بالباء وبينها
بالهمزة قلت اذا عدى بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى
فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا
الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل
ولا تعضلوهن فى جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن
لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله
فعسى ان تكرهوا شيئا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس

وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا
غليظا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا

فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى غيران يستوفهم من ولا عيب فيهم
يعنى ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير
ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسدا لطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال فى
التابيد فى قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط ه معنى
حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء
ولان تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم
شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله ه وقرئ وبنات الاخت بتخفيف
الهمزه وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع
والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل
ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه ه وام
المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته
واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله
عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب
الا فى مسئلتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه
من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى فى النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود
فى الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز فى الرضاع
لان المانع فى النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع
من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على
الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله
وامهات نسائكم قلت لا يخلوا اما ان يتعلق بهن وبالربائب
فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون
الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم

الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا
قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان
النساء وتميز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت
وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية
كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة
الواحدة فى خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز النساء لان ما يليه
هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا تقول اعلقه
بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض ه فانى لست منك ولست منى ما انا من دد ولا الدد منى و
امهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات
بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون
تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم
بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس
ابهموا ما ابهم الله الا ما روى عن على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير
انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله
ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده
فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء
فعل اقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمى ولد
المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يرب ولده فى غالب الامر
ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربها فان قلت ما فائدة قوله فى حجوركم

تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم

اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده هو الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم هو وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما قد سلف مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما هو والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن

اى الطائى كشاف

[illegible]

آية وحرمتهما ح

ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة

محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق هو كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم للمفعول فقد عطفه على حرمت هو ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي هو فما استمتعتم به منهن فما استنفعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن هو فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن لان المهر ثواب على البضع هو فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة هو فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر

اجورهن

اى كتب الله ح

على البناء ح

الله ح

قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء ولا يجوز ان لا تقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا ح

[illegible] ابتغى الرجل حاله اى [illegible] كشاف

ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن

او تهب له من كله او بزيدها على مقداره وقيل فما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخ كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتها بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف هي الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طايل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طايل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم وقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة رحمه الله عليه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه انه قال وما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المومنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المومنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا

بشرط علمنا انه لحسن وصف الحرايرهم

في المتعة

يعني

قال رضي الله عنه ما خلى منه بطايل ولا حظي منه بنايل كشاف

طولا منصوب على انه مفعول به ولعامله ومن لم يستطع منكم طولا على ان ينكح من طال على المراد اذا علبه ويمكن من فعله يحذف حرف الجر الذي هو على ويلط عليه الطول فنصبه كشاف

واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم

عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه هو بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه هو باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم هو واتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل واتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف هو محصنات عفائف هو ولا متخذات اخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له هو فاذا احصن بالتزوج وقرئ احصن هو نصف ما على المحصنات اي الحرائر هو من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف هو ذلك اشارة الى نكاح الاماء هو لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم وقيل

ونقصانه

اي الضغط

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله
يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم

اريد به الجدل لانه اذا هوي بها خشي ان يواقعها فيجد فيتزوجها وان تصبروا
في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت ه يريد الله
ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين
كما زيدت في لا اباً لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو
خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ه وان يهديكم مناهج من كان قبلكم
من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ه ويتوب
عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب
عليكم ويكفر لكم ه والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان
يتوب عليكم ه ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما
وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع
الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من
الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة
والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون
ان تكونوا زناة مثلهم ه يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص
ه وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن
سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف
ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات
وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه
ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد
الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر

انشد محمد المشايخ لجار الله
ومن لم تكن في بيته قهرمانة
فذلك بيت لا اباً لك ضائع صح

عليكم ه كذا في ش

قالوا ح

بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن
يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ه بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو
السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربوا ه الا ان تكون تجارة الا ان
تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع
معناه ولكن اقصدوا الكون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي
عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر
لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه
في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند
الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ه ولا تقتلوا انفسكم
من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه
كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ه
ان الله كان بكم رحيما ما نهيكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر
بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة
محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ه ذلك اشارة الى القتل
اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ
عِدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه بفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك
لكونه سببا للصلي ه نارا نارا مخصوصة شديد العذاب ه وكان ذلك على الله
يسيرا لان الحكمة تدعوا اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ه كبائر ما تنهون عنه
وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول ه
نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها

للصلي ه

وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما

كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب
السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتها اما
الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد
او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف
والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر
واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي
الى سبع مائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى
سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما
ﻫ ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض
من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير
وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان
ما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد
اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء
على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له ﻫ واسألوا
الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من فضله من خزائنه
التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان
ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد
فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون
لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ﻫ مما ترك تبين لكل اي لكل شيء مما ترك الوالدان
والاقربون من المال جعلنا موالي صفة والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام

مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله
او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موال لانهم في
معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل
من هم فقيل الوالدان والاقربون ﻫ والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن
معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا
على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم
للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل
فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك و
ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف
السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم
الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة
ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم و
قرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم ﻫ قوامون على
النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما تقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك
ﻫ والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل
الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق
بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل
والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة
والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص

وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق
والرجعة وعدد الازواج واليهم الانساب ومنهم اصحاب اللحى والعمائم هو وبما
انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروى
ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك
فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل
وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا هو فالصالحات مطيعات
قائمات بما عليهن للازواج هو حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات
لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم هو بما حفظ الله
بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا
بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن
حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد
على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات
للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمئن
اليه واصله الانزعاج هو في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف
او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع

في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف
احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم
بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع
واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا
يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم علقوا سوطكم حيث يراه اهلكم وعن اسماء
بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب
على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها
ولولا بنوها حولها لخبطتها هو فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض
بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد
رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز هو ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود
لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا
كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم
احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع هو شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف
الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار او على ان جعل
البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء هو حكما من اهله رجلا
مقنعا رضي يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين
من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن
اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة

والنفوس

اي الديه التي يحملها الرجل ويغرمها ويسعى في تحصيلها ه منه

الهجار العقال ه

المشجب عود يتخذ من خشب الخيزران كهيئة ما نسان يلقى عليه الثوب ليلا ينكسر ويتجر من تحته ه كطاهر

واصله بل مكر الليل والنهار ه

والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان
يطلعوا عليه فان قلت هل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك اليهما
قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل
ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على مقتضيه اجتهادهما وعن
عبيدة السلماني شهدت عليا رضى الله عنه وقد جاءت امراة وزوجها
ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هولاء حكما وهولاء حكما وقال على للحكمين
اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال
الزوج اما الفرقة فلا فقال على كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله
لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لى وعلى وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان وعن الشعبى ما قضى الحكمان جاز والالف فى يريدا اصلاحا
ضمير الحكمين وفى يوفق الله بينهما للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات
البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما واوقع
الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى
فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح
ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل
الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول
عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء
مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع
بين المفترقين لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذى القربى وبكل
من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذى القربى الذى قرب

ما مر عن السلمانى بخطاش

فئام جماعة كثيرة

ان عليكما

وعن السجاوندى يستعمل الله ...

جواره والجار الجنب الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى
لا يخلونيا مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرى والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص
كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلاته
بحقى الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذى صحبك بان حصل بجنبك
اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم علم او حرفة واما قاعدا
الى جنبك فى مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان تراعى
ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة
وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذى
يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه وما ليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرى والجار الجنب
بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب
على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون احقا بكل ملامة وقرى بالبخل بضم الباء وفتحها
وبفتحتين وضمتين اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيامرونهم
بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفى امثال العرب ابخل من الضنين بنائل
غيره وان امرا ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد راينا ممن بلى
بدا البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب
ودارت عيناه فى راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة
على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون
لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان
نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبى صلى الله عليه
وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا
حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى

والانشد للبعاثر بن قيس

من قرا هذا نصبا فمعناه ان فعلا بمعنى مفعول لخلق الله وضرب الامير من جنبه كذا جنبا اذا نحاه عنه كانه قيل والجار المجنوب الى المنحى بخطاش

يقول العرب فلان ليس لفقر ولكن يتفاقر اى يرى من نفسه انه فقير وليس له ...

اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في
شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله ﷺ رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم
وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل في مشركي مكة المنفقين اموالهم
في عداوة رسول الله ﷺ فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز
ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار ﷺ وماذا عليهم
واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم
والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم
ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه
لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة
وكان الله بهم عليما وعيد ﷺ الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله
مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب فرفعه
ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء
في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او
زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته
في القدرة ﷺ وان تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير
المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة ﷺ يضاعفها
يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات
المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني
عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى
يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل
سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية
والمراد الكثرة لا التحديد ﷺ ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها

نزلت ح

ومصلحة نخ شر

اي ادنى شيء

فاجبنه رضي الله عنه اجرا العظيم جنة ومنه الاجر

من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت
الا بثباته وقرئ تضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ
ابن هرمز نضاعفها بالنون ﷺ فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم
اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود
انه قرأ سورة النساء على رسول الله وقال حسبنا ﷺ لو تسوى بهم الارض لو
يدفنون فتسوى بهم الارض لو يدفنون كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم
لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها
ﷺ ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله
حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك
وجحدوا اشركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ
تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى
بادغام التاء في السين كقوله تسمعون وماضيه اسوى كازكى ﷺ روى
ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت وكانوا
لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون
الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ﷺ ومعنى لا تقربوا
الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنى ولا
تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام

شهيدا فما لي لم يحضر ... اي ... رسول الله ع

جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله
وردانوا بسكرسناته كما الزنون ه وقرى سكارى بفتح السين وسكرى على ان
يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة
سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة
وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم
سكارى لان محل الجملة مع الواو والنصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى
ولا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع المذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر
الذى هو الاجناب الا عابرى سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه
على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التى قبلها قلت كانه
قيل لا تقربوا الصلوة فى حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهى حال
السفر ه وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله
جنبا اى ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين
فان قلت كيف يصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد
بالجنب الذين لم يغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد
معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان
الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فيصيبهم
الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى ان رسول الله عليه السلام
لم ياذن لاحد ان يجلس فى المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلى رضى الله عنه
لان بيته كان فى المسجد فان قلت ادخل فى حكم الشرط اربعة وهم المرضى
والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذى هو الامر بالتيمم
عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى
اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك

البرين والغين ما يركب القلب من الغفلة ه كشاف

جنب واجنب وجنب كلها بمعنى جنب وابن رضى الله عنه والذى عليه استعمال العرب اجنب ه كشاف

[illegible]

وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه
لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره
وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع بقوله فى سورة
المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى بعضه وهذا لا يتاتى فى الصخر الذى
لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت
قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل
مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو
كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ه ان الله كان عفوا غفورا كناية عن
الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم
اثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين
وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث
سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه
ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء فى التيمم بالتراب فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة
المرض والسفر ه وقرى من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين فى هين
والغيط بمعنى الغائط ه الم تر من رؤية القلب وعدى بالى على معنى الم ينته
علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم ه اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم
التوراة وهم احبار اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله و
انه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل ه ويريدون ان تضلوا انتم
ايها المومنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا فى سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون
ان يضل معهم غيرهم وقرى ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها ه والله اعلم منكم

وغلبتها على سائر الاسباب الموجبة للترخص ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق فى مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر ه

يشترون الضلالة يستبدلونها ... وهم ... انتهى

باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا
تستنصحوهم فى اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته
ونصرته دونهم اولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ﴿من الذين هادوا﴾
بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم
وكفى بالله وكفى الله جمل توسطت من البيان والمبين على سبيل الاعتراض
او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا
كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان
يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله
وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت
فيها ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا
مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو
تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الحد بدله فان قلت ـــــ كيف قيل ههنا عن مواضعه وفى المائدة من
بعد مواضعه قلت ـــــ اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه
التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه
واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه
كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون
الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ﴿ غير مسمع﴾ حال من المخاطب
اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك
بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على
ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع
جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز

على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه
نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه
وكذلك قولهم ﴿راعنا﴾ يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية
او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا
برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة
ويظهرون به التوقير والاكرام ﴿ليا بالسنتهم﴾ فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم
الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا
فان قلت ـــــ كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا
وعصينا قلت ـــــ جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه
بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا وكنهم لما لم
يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابى وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت
الام يرجع فى قوله لكان خيرا لهم قلت ـــــ الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم
سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله
بكفرهم اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه ﴿فلا يؤمنون الا﴾ ايمانا قليلا
اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة
العدم كقوله قليل التشكى للمهم يصيبه اى عديم التشكى او الا قليلا منهم قد امنوا
﴿ان نطمس وجوها﴾ ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم ﴿فنردها
على ادبارها﴾ فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على
انهم توعدوا بالعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس
وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس
القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم

قوله
بذلك
الضمير
اى سمعنا وعصينا لفظا
فنجعلها على هيئة ادبارها

اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم و
وادبارهم او نردهم الى حيث جاءوا منه وهى اذرعات الشام يريد اجلاء بنى
النضير فان قلت لمن الراجع فى قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد
الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين
اوتوا الكتاب على طريق الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت
فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن
منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله تعالى
اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال
رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد
حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ
الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد
الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر
الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه
ان يكون الفعل المنفى والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله
لا يغفر لمن يشاء ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب و
بالثانى من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن
يستاهله فقد افترى اثما اى ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين
يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر

مادون ٤

جميعا

الشرك

لمن يشاء يريد لا يبذل الدينار
لمن يستاهله ويبذل
القنطار لمن ح

صلى الله عليه وسلم

عملناه

عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى
نفسه ووصفها بزكاء وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان
قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لامين
فى السماء امين فى الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون
اعدل فى القسمة ابطالا لما اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد
الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكى من يشاء
اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن
هو اهل للتزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف
منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم
انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا
تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الكذب فى زعمهم انهم عند الله
ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم بالجبت الاصنام وكل ما عبد
من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف
اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم
فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم
سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا
ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال
وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا
افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون
ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان
ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذن لا يؤتون

العمل ٢

فتيلا ٤

الله ٢

الناس لئن لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط
بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير
والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون
خزاين رحمة ربي اذن لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم
بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة
في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين
وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ
ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب
وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل ولا يؤتون الناس نقيرا اذن ام
يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه
وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازديادا لعز والتقدم
كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة
آل ابراهيم هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله
مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف
وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل كيف استكثرتم له التسع وقد
كان وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود
من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه
بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم
من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم
غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية
جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن
فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم

الدين

بحنهم

جلودا

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله
نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا

كل يوم سبع مرات وعن الحسن مرة تبدل لون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا
العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على
عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما
لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد
معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب
فيه ودايما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة
رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله
سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل
امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب
الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه
رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذ منه
وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى
عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق
فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب
للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد
نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون
مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم
به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من

سميعا بصيرا

فينانا اي كثير
لا فينان شر

العدل شر

بالحاد الله ... الله رضي الله ... عثمان بن شيبة بن عثمان شر

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا

اداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم أمرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ه فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى الكتاب ولا الى السنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله وعند رسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ه ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم ه روى ان بشر المنافق

خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق ه والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ه وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام ه فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه ه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا

احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
فقرح عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه
حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل
جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه
وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به ه فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في
استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في
انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت
بم تعلق قوله في انفسهم قلت مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه
الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق
واطلع قرنه واخبرهم ان في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله
وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم
الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق
الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية
على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه ولا يغني عنكم ابطانه
فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم
ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض
ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم ه وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا
رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث
اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله
ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد

بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك
بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله ومستغفرا ه لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم
ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان
رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان الشفاعة من اسمه الرسول
من الله بمكان ه فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة
لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون
جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في
لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك
قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم ه فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ه حرجا ضيقا اي
لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعار
ضونه
بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا
جعلها سالمة له خالصة ه وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه
قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان
المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك
وذكر انهما اختصما الى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها
النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال
لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير

برأى فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا اناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوا وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقنا لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول

من افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بيّن به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم

فخففت
بدل

الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من
المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى
احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم ه فانفروا اذا نفرتم
الى العدو ه اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا
اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ
فانفروا بضم الفاء ه اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور
وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن
والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا
يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ
بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ
على فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما ابطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون
منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان
هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد ه
فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة ه فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن
وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن
ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين
الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو ياليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم
موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر
وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم بهم لانهم كانوا اعدى
عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه
العكس تهكما بحالهم ه وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون

[Margin: ابطاء / ل]

معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت ه يشرون بمعنى يشترون الحياة و
يبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة فالذين
يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من
النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد
والذين يشرون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها
بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل
الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء
الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله ه والمستضعفين فيه وجهان ان
يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار
من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون
عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة
وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد خير م
صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج
استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا
قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم
حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا

[Margin: بد]

لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت
السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من
المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء
الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة
يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد والاخوة فان
قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا
انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى
الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة
اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت
هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي
ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى
الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم
انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون
في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين
الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها
عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما
داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة
كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا
عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله
النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية
الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية

كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

خشية من اهل خشية الله معطوف على الحال فان قلت لم عدلت
عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله
بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه
وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن
الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي
فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر وانما تقول اشد
خشية فتجره واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه
اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم
ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية
من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية
الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال
فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف
الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها
ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب
على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب
مالي ولا حرم وهو قول نحويي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي
ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها
ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه
على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من
شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة

بكسر الباء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر
قارضها ه السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة
قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات
يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك
وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت
انهم تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها
على حسب المصالح ه لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان
خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا
وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب
فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
وعن عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر ه وارسلناك
للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت
رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا ه وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج
عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به
ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه
طاعة الله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله

فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان
يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ه ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه ه فما ارسلناك الا نذيرا
لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله
وما انت عليهم بوكيل ه ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة طا بالرفع اي امرنا
وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا
وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم
يقال له كيف اصبحت فيقول الحمد لله وثناء عليه كانه قال امري وشاني
حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات
الطاعة واستقرارها ه بيت طائفة زورت طايفة وسوت ه غير الذي
تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من
الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما
يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها
ه والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد
او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني
عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان
الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره ه وقرئ بيت
طايفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق و
الفوج ه تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه
ثم استعمل في كل تامل فمعنى تامل القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه ه لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته

ومعانيه لكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه
اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا
على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب
كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه
ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قيل
اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند
المتدبرين ه هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال والاستبطان
للامور كانوا اذا بلغهم خبر سرايا عن رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل
اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي
الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم
تدبير ما اخبروا به الذين كانوا يؤمرون يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله و
اولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه منهم
كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه
المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المومنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى
نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع اولا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته
وهل هو مما يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع اولا
يذاع لعلمه هولاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي

يتلقونه ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال
في الناس حتى كانه بعلياء نارا وقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به
الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله كما ضجر بازل
من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البير اول ما تحفر
وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل
بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ه ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق ه لاتبعتم
الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاي
قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في
سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك عن نفسك وحدها
ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك ومولك الالوف
وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف
بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المومنين وما عليك
في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم
الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم ه والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها
عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يوخذ عليها رشوة وكانت
في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف
ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها

وقال لو علمت ما في قلبك لما كلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك ه‍ مقيتا شهيدا حفيظا وقيل
مقتدرا واقات على الشئ قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه
وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب
مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها ه‍ الاحسن منها
ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته
اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
السلام فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله ه‍ اوردوها اواجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه
بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين
الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله
عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون
عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة
وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة
وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب
رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا

ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير
والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر
الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام
وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل
ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك
السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء
في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك
عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله عليه لا تبتدئه بسلام في كتاب ولا غيره
وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على
من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ه‍ على كل شئ حسيبا
اي يحاسبكم على كل شئ من التحية وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدأ واما
اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي
ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او
قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق
من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب
مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه
كذبا واخبارا عن الشئ بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج
الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه
او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره
ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض

السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو عزعزت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب
هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز
عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح ه فئتين
نصب على الحال كقولك مالك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله
في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم
هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله
انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم
خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على
السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه
ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا
القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من
ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر
بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم ه اتريدون ان تهدوا
ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم
عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على
تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم فتكونون معهم
شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان
آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض
الدنيا مستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم
وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم ه الا الذين
يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون ينتهون اليهم ويتصلون ه

الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون

هم من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل
ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه من هو من انسبائهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت
خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح ه او جاءوكم لا يخلو من ان
يكون معطوفا على صفة قوم كانه الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين
يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة
لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان
كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع
بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء و
استحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين
لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف
على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين
واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر وا
جرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت
صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا
او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار
قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم
وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او

بهم

بين

فا

جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن
ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله
الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب
في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين
غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان
اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن
لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى
قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو لهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا
حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل
الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح
له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا
ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ
فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اى
ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى
لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا
خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء
البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب

مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطأ بوزن
عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم
وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فاقسمت امه لا تأكل
ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن
ابي انيسة فاتياه وهو في أطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال
اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل
وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال
للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك
وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم
الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه
فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال قتلته ولم اشعر
باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر
والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق
الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم
للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما
عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة
مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ
الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة
الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء
لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق
كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع عن تصرف الاحرار ودية مسلمة الى
اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين

سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وينفذ الوصية واذا لم يبق وارثا
فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه
قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم
لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام ضحاك بن سفيان
الكلابي فقال كتب الي رسول الله يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من
الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية
وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان
قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة
في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم
تكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو
كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق
ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه
الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف
بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك
نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا
قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل
يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم
يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا

المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد
رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة
من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني
شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية
فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب
غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا
غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك
محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل
ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا
اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر
رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله
ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء
يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم
يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث
القطيعة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم
الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو
عن قاتل المؤمنين بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها
ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما
يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة
لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل
الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل
كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل

فمن الله عليكم خراج المسلم عن الكائن فليأت بدليل مثله ﻫ فتبينوا وقرئ فتثبتوا
وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه
من غير روية ﻫ وقرئ السلم والسلام ﻫ لست مومنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم
من آمنه اى لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم
لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي
فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من
الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد
وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الآية على اسامة فقال يا رسول
الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى
وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة
ﻫ تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع
النفاد وهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه
فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ
به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام
سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان
تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة
دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ﻫ
ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين

في ذلك ﻫ غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب
استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمومنين والضرر المرض او العاهة من
عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله ﷺ
فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري
عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون
فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من
المومنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي
القاعدون من المومنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله
وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في
الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها
وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد
لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من
التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن
انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته
ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ﻫ فضل
الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه
قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر
لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف ﻫ وكلا وكل فريق
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي الجنة
وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله
عليه لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم

وهم الذين صحّت نيّاتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد
وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله
سبحانه مفضّلين درجة ومفضّلين درجات فمن هم قلت
امّا المفضّلون درجة واحدة فهم الذين فضّلوا على القاعدين الاضرّاء
وامّا المفضّلون درجات فالذين فضّلوا على القاعدين الذين اذن لهم
في التخلّف اكتفاء بغيرهم لانّ الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب
درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها
موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضّلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه
سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضّل لانّه في
معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدلا من اجرا ويجوز
ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات
كانه قيل وفضّلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة
هي درجات مقدّمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما
بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ٥ توفّيهم يجوز ان يكون ماضيا
كقراءة من قرا توفّتهم ومضارعا بمعنى تتوفّاهم كقراءة من قرا نتوفّاهم
على مضارع وفّيت بمعنى ان الله يوفّي الملائكة انفسهم فيتوفّونها اي
يمكّنهم من استيفائها فيستوفونها ٥ ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم
قالوا قال الملائكة للمتوفّين فيم كنتم في ايّ شيء كنتم من امر دينكم
وهم ناس من اهل مكّة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة
فان قلت كيف صحّ وقوع قوله كنّا مستضعفين في الارض
جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حقّ الجواب ان يقولوا كنّا في كذا او لم نكن
في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث

الذين ٥

حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنّا مستضعفين اعتذارا ممّا
وبّخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكّنوا من الهجرة حتّى يكونوا في
شيء فبكّتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا
انّكم كنتم قادرين على الخروج من مكّة الى بعض البلاد التي لا تمنعون
فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة
وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكّن فيه من اقامة امر دينه
كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم
انه في غير بلده ٥ اقوم بحقّ الله وادوم على العبادة حقّت عليه المهاجرة
وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجبت له الجنّة وكان رفيق ابيه ٥ ابراهيم ونبيّه محمّد
اللّهمّ ان كنت تعلم انّ هجرتي اليك لم تكن الّا للفرار بديني فاجعلها سببا
في خاتمة الخير ودرك المرجوّ اليك من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري
لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ٥ ثم استثنى
من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج
لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
بعث بهذه الآية الى مسلمي مكّة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب
لبنيه احملوني فانّي لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
والله لا ابيت الليلة بمكّة فحملوه على سرير متوجّها الى المدينة وكان
شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان
في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقّون الوعيد مع
الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال
والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما

الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب
خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان
العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة
هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين
عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد
والاماء البالغون فلا سوال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها
قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز
ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو
عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا
توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان
يعفو عني فكيف بغيره ه مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي
يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام
وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة
تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب
وقرئ مرغما قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء
الى الكاف كقوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على
اضمار ان كقوله ويلحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها
ووجبت الشمس قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب
عليه وقيل في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق

بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك
عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو وافى
بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب
فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار
الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب
فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله
ه الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر
عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على
القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة
ايام ولياليهن في يوم واحد قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر
وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام
افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في
السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة
حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت
وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي
الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير
رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر
على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع
بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا
مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب

لتطب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في
الحديث اقصار الخطبه بمعنى تقصيرها وقراء الزهري تقصروا بالتشديد
والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله
من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان
يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره ◦ واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله حيث شرط كونه
فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله في كل عصر قوام بما كان
يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف
عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم
للخائفين ◦ فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل
بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين
فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما
وان كان لغيرهم فلا كلام فيه ◦ فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام
باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو
وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي
الركعة بقراءة وتتم صلاتها والعبرة على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك
بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم
صلاتها وتسلم ثم وبعضه ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك
وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ
قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك

جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين
تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع
بينه وبين الاسلحة في الاخذ الدار في التبوء ◦ فيميلون عليكم ويشدون عليكم
شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما
يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا
فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم
توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما
هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ◦ فاذا قضيتم الصلوة
فاذا صليتم في حال الخوف والقتال ◦ فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح ◦ فاذا اطماننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة
فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها
عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي
رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب
في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة
رحمه الله فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف
فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد في كافة
احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير
بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا اطماننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلوة فاتموها

ﻫ ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا فی ابتغاء القوم فی طلب الكفار بالقتال
والتعرض به دهم ثم الزمهم الحجة ﻫ بقوله ان تكونوا تالمون ای لیس ما تكابدون
من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بینكم وبینهم
یصیبهم كما یصیبكم ثم انهم یصبرون علیه ویتشجعون فما لكم لا تصبرون
مثل صبرهم مع انكم اولی منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا یرجون من
اظهار دینكم علی سایر الادیان ومن الثواب العظیم فی الاخرة وقرا الاعرج
ان تكونوا تالمون بفتح الهمزة بمعنی ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم یالمون
كما تالمون تعلیل وقری فانهم ییلمون كما تیلمون وروی ان هذا فی بدر
الصغری كان بهم جراح فتواكلوا ﻫ وكان الله علیما حكیما لا یكلفكم شیا ولا یامركم
ولا ینهاكم الا لما هو عالم به مما یصلحكم ﻫ روی ان طعمة بن ابیرق احد بنی
ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فی جراب دقیق فجعل
الدقیق ینتثر من خرق فیه وخباها عند زید بن السمین رجل من الیهود
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه
واتبعوا اثر الدقیق حتی انتهی الی منزل الیهودی فاخذوها فقال دفعها الی
طعمة وشهد له ناس من الیهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الی رسول الله
فسالوه ان یجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ الیهودی
فهم رسول الله ان یفعل وان یعاقب الیهودی وقیل هم ان یقطع یده فنزلت
وروی ان طعمة هرب الی مكة وارتد ونقب حائطا بمكة لیسرق اهله فسقط
الحائط علیه فقتله ﻫ بما اراك الله بما عرفك واوحی به الیك وعن عمر رضی الله عنه
لا یقولن احدكم قضیت بما ارانی الله فان الله لم یجعل ذلك الا لنبیه ولكن
لیجتهد رایه لان الرای من رسول الله كان مصیبا لان الله كان یریه ایاه
وهو منا الظن والتكلف ﻫ ولا تكن للخائنین خصیما ولا تكن لاجل الخائنین

مخاصما للبرآء یعنی لا تخاصم الیهود لاجل بنی ظفر ﻫ واستغفر الله مما
هممت به من عقاب الیهودی ﻫ یختانون انفسهم یخونونها بالمعصیة
كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصیة العصاة خیانة
منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع الیهم فان قلت
لم قیل للخائنین ویختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت
لوجهین احدهما ان بنی ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له فی
الاثم والثانی انه جمع لیتناول طعمة وكل من خان خیانة فلا تخاصم لخائن
قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قیل خوانا اثیما علی المبالغة قلت
كان الله عالما من طعمة بالافراط فی الخیانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة
امره لم یشكل فی حاله وقیل اذا عثرت من رجل علی سیئة فاعلم ان لها اخوات
وعن عمر رضی الله عنه انه امر بقطع ید سارق فجاءت امه تبكی وتقول هذه اول
سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا یؤاخذ عبده فی اول مرة
ﻫ یستخفون یستترون من الناس حیاء منهم وخوفا من ضررهم ولا یستحیون
منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع علیهم لا یخفی علیه خاف من سرهم وكفی بهذه
الآیة ناعیة علی الناس ما هم فیه من قلة الحیاء والخشیة من ربهم مع
علمهم ان كانوا مؤمنین انهم فی حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غیبة ولیس
الا الكشف الصریح والافتضاح ﻫ یبیتون یدبرون ویزورون واصله
ان یكون باللیل ﻫ ما لا یرضی من القول وهو تدبیر طعمة ان یرمی بالدرع
وعن النبی صلی الله علیه وسلم كلام ابن آدم كله علیه لا له الا ما كان من امر
معروف او نهی عن منكر او ذكر الله وسمع سفیان رجلا یقول ما اشد هذا
الحدیث فقال الم تسمع الله یقول لا خیر فی كثیر من نجواهم فهو هذا بعینه
او ما سمعته یقول والعصر ان الانسان لفی خسر فهو هذا بعینه

وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوى فاعل الخير عبادة الله والتقرب
به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت
كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر
بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان
الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد
بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل
كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يوتيه بالياء ويتبع غير سبيل
المومنين وهو سبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل
على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة
لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المومنين وبين مشاقة الرسول
في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة
الرسول ه نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي
بينه وبين ما اختاره ه ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه
وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ه ان الله لا يغفر ان يشرك به
تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ
من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله
شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة
على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب
مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر
من يشاء بالتائب من ذنبه ه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن
لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل
كانوا يقولون اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ

أُنُثًا جمع انيث او اناث ووثنا وأُثُنًا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك
أَسَدٌ وأُسْدٌ وأُسُدٌ وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة
رضي الله عنها اوثانا ه وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا
لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ه
لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الشنيع ه نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي
من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف
تسع مائة وتسعون الى النار ه ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ
الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها
بالشفاعة ونحو ذلك ه وتبتيكهم الاذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أُذُن
الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم
الانتفاع بها ه وتغييرهم خلق الله فقؤ عين الحامي واعفاؤه عن الركوب
وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني
آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شري الخصيان واستخدامهم وامساكهم
لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام
وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله [في الهامش: للحسن / بدل]
وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات
والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث ه وعد الله حقا
مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ه ومن اصدق من
الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة
لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به

تنجز وعد الله على ما تجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان
﴿ في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا باماني
اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك
ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق و
السدي هي في المسلمين ﴿ وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في
القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا
العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل
ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن
خيرا منهم واحسن حالا ولاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان
اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما
معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب
للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد
ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيبه وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل
وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح
ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت
ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل

بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل
منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط
عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت
كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه
وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات
جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر
لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان
يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان
ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي
في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي
الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل ﴿ اسلم وجهه لله اخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن ﴿ وهو
عامل للحسنات تارك للسيئات ﴿ حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله
بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن
الاديان كلها الى دين الاسلام ﴿ واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن
اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل
المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من
الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال
منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة
اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث
جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله
ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة

على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة
لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته
عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت
واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته
من عند خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله
خليلا ه ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين
والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة
عليهم ه وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ه ما يتلى في محل الرفع اى
الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم
مبتداء وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضه والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى
من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن
وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل
قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا بمعنى التعظيم
وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى
فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة
يتلى اى يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في

الوجهين الآخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء
ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندى سحق عمامة وقرى في ييامى
النساء بياءين على قلب همزة ايامى ياء ه لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما
كتب الله لهن اى ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة
الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة
عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها ه وترغبون ان تنكحوهن
يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروى
ان عمر رضى الله عنه كان اذا جاءه ولى اليتيمة نظر فان كانت جميلة
غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة
ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها ه والمستضعفين مجرور معطوف على
يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون
الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ه وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى
النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى
ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم
حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم ه خافت من بعلها توقعت منه ذلك
لما لاح لها من مخايله واماراته ه والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها
نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان يؤذيها
بسب او ضرب ه والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها
ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او
شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك ه
فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا

ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر، صلحا في معنى مصدر كل واحد من
الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة
او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله
وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امراة اراد
ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني
اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي
فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان
يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض
وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما
ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس
الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا
ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها
وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب
عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم
غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض
وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى
خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم
وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال
مالك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت
مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين
والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء
والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك

عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا
فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام
للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة رضي الله عنها كانت احب
اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم
انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوى بينهن في القسمة والنفقة والتعهد
والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي
من وراءه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات
كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوزوا
على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني
ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه
ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي
الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها
كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم
القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث
الى ازواج رسول الله بمال فقالت عايشة أالى كل ازواج رسول الله
بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن
بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله
ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا
كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما

في قبر واحد ه وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما
تستقبل غفر الله لكم ه قرئ وان يتفارقا بمعنى وان تفارق كل واحد منهما
صاحبه ه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من
عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغنى المقتدر ه من قبلكم
متعلق بوصينا او باوتوا ه واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم
للجنس يتناول الكتب السماوية ه ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان
التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا ه فان الله عطف على اتقوا
لان معنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله
والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم
ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم
بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة
في العاقبة وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان الله في سمواته وارضه من الملائكة
والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن
خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد
منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب
تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير
كله ه ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت باخرين
ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من
الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده ه وهذا
غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي

يعادي رسول الله من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين
يوالونه وروي انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ه من كان يريد ثواب
الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة ه فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما
لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة
ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط ه قوامين بالقسط
بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا ه شهداء لله
تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ه ولو على انفسكم
او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين
ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما
معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه
في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان
كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم او اقاربكم وذلك ان يشهد
على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ه ان يكن ان يكن المشهود
عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا
يمنعها ترحما عليه ه فالله اولى بهما بالغنى والفقير اي بالنظر لهما وارادة
مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده
من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان
يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين
قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا

لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغنى وجنس الفقير كانه
قيل فالله اولى بجنسي الغنى والفقير اى بالاغنياء والفقراء وفي قراءة
ابى فالله اولى بهم وهى شاهد على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غنى او فقير
على كان التامة فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل
فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا
عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم
عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا ويجازيكم عليه يا ايها
الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان ودوموا
عليه وازدادوه والكتاب الذى انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على
الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه
على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل
الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى انه لعبد الله
بن سلام واسد واسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت
عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله
وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم
وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا
فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذى انزل من قبل
وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا

مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس ولان ايمانهم
ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص
لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا
به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا
وهذا الذى اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و
يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت
لم قلت نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن
يكفر بالله الآية ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر
بكله الا ترى الى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم و
ولا ليهديهم سبيلا نفى للغفران والهداية وهى اللطف على سبيل المبالغة
التى يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفى ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص
الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار
عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا
ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون
شئ عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى
انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه
استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذى
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت
على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا
بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع

بشرٌ مكان لخبر تهكّماً بهم ه والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين
او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم
امر محمد فتولوا اليهود ه فانّ العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب
لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ه ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل
عليكم انّ الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع
ما في حيزها في موضع الرفع بنُزّل او في موضع النصب بنَزّل فيمن قرأ به
والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان
المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهى
المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان احبار اليهود
بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن
مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من احبارهم المنافقون فقيل لهم انكم اذاً مثل الاحبار في الكفر ه ان الله
جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والكافرين يعني المقعود
معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت
الى من دلّ عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها
والمستهزئين بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض
قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر
فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين
من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا
مع قدرتهم فكان ترك الانكار للرضا منهم ه الذين يتربصون اما بدل من الذين

يحذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم ه يتربصون بكم اي ينتظرون
بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق ه الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة
ه الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم
من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا
في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم
بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر
المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما
ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيّ ولمظة من الدنيا يصيبونها ه يخادعون
الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر ه وهو
خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي
الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة
ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع
اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل
يعطون على الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون بنورهم ثم
يطفأ نورهم ويبقى نور المومنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
ه كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي
يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن
طيبة نفس ورغبة ه يراؤن الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة
ه ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط
غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا

لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه ولا يذكرون الله
بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين
بالاسلام لو صحبته الايام والليالي حديث الدنيا يستغرق به اوقاته
لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى
المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة
بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني راءاهم كقولك نعمه وناعمه
وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرآة
الرجل اذا امسكتها لترى وجهه وتدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءونهم
بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين
اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين
مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى
بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب
الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد
كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب
كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال
بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل
بمعنى وفي مصحف عبدالله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة و
وكأن المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة
واحدة والدبة الطريقة ومنها دع دبة قريش ﻫ وذلك اشارة الى الكفر والايمان
ﻫ لا الى هولاء لا منسوبين الى هولاء فيكونوا مومنين ولا الى هولاء والمشركين
الى هولاء فيسموا مشركين ﻫ لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين

في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا مبينا حجة بينة
يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان
انه قال لابن اخ له خالص المومن وخالق الكافر والفاجر فان
الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ﻫ
الدرك الاسفل من النار الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع
دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت
لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر
وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا
من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق
المومنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه ﻫ فاولئك
مع المومنين فهم اصحاب المومنين ورفقاؤهم في الدارين ﻫ وسوف
يوت الله المومنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت
من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر
واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق و
ان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي
يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان فنتكلم
بكلام واذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن
اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني
الحجاج ﻫ ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام

يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي
لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء
فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق
العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليها على شكركم وايمانكم
فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل
ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر
شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر
شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكأنه اصل التكليف ومداره
ه الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر
المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو
ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف
رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ
الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه
الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر
بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو
ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ه ثم حث على
على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار
بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب الى الله والافضل عنده
والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا
للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته ه وان له مكانا
في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر
ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين

مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ه جعل الذين آمنوا
بالله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى
اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر
كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا
في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطؤوا فانه لا واسطة بين الكفر
والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر
وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم
كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا
حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو
يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني
فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة
ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء ه سوف نؤتيهم اجورهم معناه
ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد
وتثبيته لا كونه متاخرا ه روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص
بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى
فنزلت وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل
التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية
ه فقد سألوا موسى جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال
اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا

على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى
أرناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما
سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبرهيم صلوات الله عليه أن
يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة
ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء
ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى تاب عليهم فأطاعوه واحتبوا
بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مطل عليهم ادخلوا
الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك و
وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد
وقرئ ولا تعدوا ولا تعدّوا بإدغام التاء في الدال فبما نقضهم
فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت إما أن
يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما
أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا
بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب
أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من
الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت أن
المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون
التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها
بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم
أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة

لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الله
ما عبدناهم ولمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها
الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا
غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله
وبكفرهم قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد
ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت ما معنى المجيء
بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده
وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لأنهم
كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع
المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق
والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم
مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم
بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية فإن قلت كانوا كافرين
بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح
في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا
بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا وروي
أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك
خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير

فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من
صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل
بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم
يظنون انهم قتلوا عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال
بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى
الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه
وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند
الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن شبه لهم
قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم
يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك
ان لا يترجح احد الجانبين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف
يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط
ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا
يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او
نجعله يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق
انتفى قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ
فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
ثم قيل وما علموه بيقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة

قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد
الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى
وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله
يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف
وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها
يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت
الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به
فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه
الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه
قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول
حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم
علي لانه مشهور بابن حنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة
فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال
وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج
روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح
للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بانهم ليؤمنن بعيسى قبل موتهم قلت
فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب
عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به

في اوان الانقطاع به وليكون الزاما لحجتهم وكذلك قوله ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن
الله وقيل الضميران لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت
عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من
السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون و
يدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن
به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون
حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله
عليه وسلم ه فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات
الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عددنا لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت
عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات
من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا ابالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب ه
لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون
في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين
منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء
ويؤمنون خبره ه والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب
واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من

وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف
مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد
همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في الكتاب
ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على
بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي
مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري
وعيسى الثقفي ه انا اوحينا اليك جواب اهل الكتاب عن سؤالهم رسول
الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي
اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاء جمع زبر
وهو الكتاب ه ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو
ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي
ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل ه وعن ابراهيم ويحيى بن
وثاب انهما قرءا وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان
معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن ه رسلا مبشرين
ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير
فان قلت كيف يكون للناس على حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما
د قبل
نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم
لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسول
الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر
كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل
امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة

للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا
من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ﻫ قرا السلمي لكن الله
يشهد بالتشديد فان قلت ـــــــ الاستدراك لا بد له من
مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت ـــــــ لما سال
اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله
انا اوحينا اليك قال لكنا ما نشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد
وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله
يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق
فان قلت ـــــــ بم يجابون بانه يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك
قلت ـــــــ يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوى بالبينات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون
بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ـــــــ
ما معنا قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت ـــــــ معناه
انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم
واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع
الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم
المعجز الفائت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك
مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه
انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد
من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن لا انزله
الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا

الله
ع

شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة
حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد ﻫ كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر
والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق
من الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ﻫ ولا ليهديهم طريقا لا يلطف
بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقا
ﻫ يسيرا اي لا صارف له عنه ﻫ فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم
انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث
علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم
فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد ﻫ لا تغلوا في دينكم غلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة
وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ﻫ ولا تقولوا
على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد ﻫ قرا جعفر بن محمد انما
المسيح بوزن السكيت ﻫ وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد
بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله
وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة
المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته
خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ﻫ ثلاثة خبر
مبتداء محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد
ثلاثة اقانيم اقنوم الاب الذات واقنوم الابن العلم واقنوم روح القدس
الحيوة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه
القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح
ولد الله من مريم الا ترى الى قوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من

دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون
في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما
المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم
وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه
جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه
ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان
يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون
بكسر الهمزة ورفع النون اى سبحانه وما فى الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه
يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان
الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض ه
وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء
اليه ه لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع
اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا
واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل
واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة
المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة
تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل
وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد
بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه
الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين
وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا
لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول

قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله
قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه
فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار
الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت
لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا
لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل
عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض
انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من
فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت
قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون
ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا
عطفتهم على الضمير في عبد فقد طاح هذا السؤال ه قرئ فسيحشرهم بضم
الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل
لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل
قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه
نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة
التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما
في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل
بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة
اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله ه البرهان والنور

المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق ورسول الله وبالنور المبين
ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق
وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام
والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله
في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا
فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله
في طريق مكة عام حجة فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان
امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على
الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد
الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن
يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت
التي هي لاب وام او لاب دون التي هي لام لان الله فرض لها النصف
وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام
فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها
واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم
يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت
الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر
على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى
بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما
بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما
بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء
الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عنده

عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة
تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على
انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع
في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان
من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما
قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من
لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا
لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا
لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا
عن النبي صلى الله وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل
مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى
بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه
بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها
على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون
بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات
ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم
حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم
وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام

للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام

ه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم

الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه ه والانعام الازواج الثمانية وقيل

بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام

ويدانيها من جنس البهايم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام

لملابسة الشبه ه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم

اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه

عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه

قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون

لئلا نحرج عليكم ه ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة

ه والحرم جمع حرام وهو المحرم ه الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي

جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى

والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي

والحلق والنحر ه والشهر الحرام شهر الحج ه والهدي ما اهدي الى البيت

وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية

السرج ه والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة

مزادة او لحاء شجر او غيره ه وآمين المسجد الحرام قاصدين وهم الحجاج

والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها

وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في شهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج

وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فبدل

من الهدي وهي البدن ونعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية

بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها

خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن

التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا

يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها

ه ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام ه يبتغون فضلا من ربهم

وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم

تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى

الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها

وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة

وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون

والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج

البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين

ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله

واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء

الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم

وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت

الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على

خطاب المؤمنين ه فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم

كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل

هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم

واحل ه جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد والى اثنين

تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته

ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا

وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم اليا واول المفعولين على القرائتين
ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنئان بمعنى العلة والشنئان شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى
ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان
صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم
عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم ه وتعاونوا
على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان
فيتناول بعمومه العفو والانتصار ه كان اهل الجاهلية ياكلون هذه
المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في
المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله اي رفع
الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها
ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والتي تردت من جبل او في بئر فماتت
والتي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه ه الا ما ذكيتم
الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه
وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء
وقرا ابن عباس واكيل السبع ه وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة
منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها
بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب

وقرئ النصب بسكون الصاد ه وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام
بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم
الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني
ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان
خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم
له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة
ه ذلكم الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم
تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام
ليتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به
علام الغيوب وقال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني
ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه
المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها
عند اصنامهم فامره ظاهر ه اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان
الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك
كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي
قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الان في قوله الان لما ابيض مسربتي
وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم
الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع ه يئس الذين كفروا
من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما
حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى
بوعده من اظهاره على الدين كله فلا يا خذ من الصدر الى السرة وقيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقوق المسرة تخشوهم بعد اظهار الدين
وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين
واخشونِ واخلصوا الى الخشية ﻫ اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت
اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اذا كفوا من ينازعهم
الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه
في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس
واصول الاجتهاد ﻫ واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت
عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ﻫ ورضيت
لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه
هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم
امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت
بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذا ما بعده
لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة
او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه
كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يؤاخذه بذلك ﻫ في السؤال
معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا
احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسالونك بلفظ الغيبة
كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا ﻫ وما ذا
مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم

ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من
خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات و
وصيد ما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات
وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح
الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب
والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب
والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب
فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه
قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب
الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا
به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت فائدتها ان يكون
من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن
حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما
ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه
وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ من غير
متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم
الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانتهائه
بدعائه وامساكه الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف
وافعل وفعّل يشتركان كثيرا ﻫ والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه
لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه

اي مجربا

وعن علي رضي الله عنه واذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا
في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير
ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض
وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم واذا
اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان
يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم
من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله ﮪ طعام الذين اوتوا الكتاب
قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن
علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس انه سئل
عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ
ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال
ابو حنيفة صاحبا ﮪ صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف
لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما
المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل
ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم
مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره
بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء ﮪ وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم ﮪ المحصنات
الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم
والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف

منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي
وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد
اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ ﮪ محصنين اعفاء ولا متخذي
اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ﮪ ومن يكفر بالايمان اي
بشرائع الاسلام وما احل الله وما حرم ﮪ اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا
قرأت القران فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون
عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة
الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته
له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل
بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران
والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل
وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام
السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب
مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي
هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم
الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا
له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر
الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما
وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين
خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله والخلفاء بعده انهم كانوا

يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله
له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح
مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت
شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت
هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب
ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين
مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة
واجبا اول ما فرض ثم نسخ ه الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها
في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله
فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول
العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا
او موسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال
ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره
لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير
ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ
كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود
بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير
الماء على مرفقيه ه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس
وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه وقد
اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على احدى
الروايتين واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ

ابو حنيفة ببيان رسول الله عليه السلام وهو ما روي انه مسح على ناصيته
وقدر الناصية بربع الرأس ه قراءة جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل
مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت
الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكا
نت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الثالث الممسوح
لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل
الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة
لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف
على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من
النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا
مع رسول الله فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل
للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى
رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك
للتغليظ عليه وعن عايشة لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين
بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب
رسول الله مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف
فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن
بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة
او ممسوحة الى الكعبين ه وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك
ليطهركم وفي قراءة عبد الله ه فامموا صعيدا ه ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه

ر دلكا

عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم ۞ واذكروا نعمة الله عليكم
وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا
وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة
في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل
هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان ۞ عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء
مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله
ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله علم الله من اتبع
على ملة فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر
ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا
عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب
ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد ونساء او نقض عهد او ما اشبه
ذلك ۞ اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك
العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم
استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي
العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا
فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء
الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين
هم اولياؤه واحباؤه ۞ لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله
كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة او على واجر
عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد
مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة
كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم

وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة
والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون
به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى
الثواب ۞ روي ان المشركين راوا رسول الله واصحابه قاموا الى الصلوة
الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم
يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة
الخوف وروي ان رسول الله اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنه
يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة
وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق
الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء
اعرابي فسل السيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله
تعالى قالها ثلثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم
وابى ان يعاقب ۞ يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش
به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى ۞ فكف ايديهم
عنكم فمنعها ان تمد اليكم ۞ لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم
الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال
لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر
موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به

توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم به النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة
وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام
ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذى
ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها انى
معكم انى ناصركم ومعينكم ه عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدى العدو
ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف تعالى
عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه
لانصرنك نصرا مؤزرا اى قويا وهو معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان
والتوحيد وبعثنا منهم اثنى عشر ملكا ولقد اخذ بالميثاقهم يقومون
فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ه واللام فى لئن اقمتم
موطئة للقسم وفى لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب
القسم والشرط جميعا ه بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت
اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لكن
لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى ه لعناهم
طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم
او امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اى ردية
مغشوشة من قولهم درهم قسى وهو من القسوة لان الذهب والفضة
الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسى والقاسح

بالحاء اخوان فى الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف
للاتباع ه يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء
على الله وتغيير وحيه ه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا
وافيا ه مما ذكروا به من التوراة يعنى ان تركهم واعراضهم عن التورية
اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت
اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم
مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ه
ولا تزال تطلع اى هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا
يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك ه على خائنة على خيانة او
على فعلة ذات خيانة او على نفس او على فرقة خائنة ويقال رجل خائنة
كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم
الذين امنوا منهم ه فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية
السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ه اخذنا
ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اى مثل
ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى
ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى
نحن انصار الله اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا
للشيطان ه فاغرينا فالصقنا والزمنا من غرى بالشىء اذا لزمه

ر
المشركين

ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به ﻫ بينهم بين فرق
النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض ﻫ يا اهل
الكتاب خطاب لليهود والنصارى ﻫ مما كنتم تخفون من نحو صفة
رسول الله ومن نحو الرجم ﻫ ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر
اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه
وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير
منكم لا يواخذه ﻫ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه
ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او
لانه ظاهر الاعجاز ﻫ من اتبع رضوانه من آمن منهم ﻫ سبل السلام
طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو
المسيح معناه بت القول على ان حقيقته الله هو المسيح لا غير قيل
كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم
يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم
ﻫ فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان
اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح
عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه
انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية ﻫ يخلق ما يشاء اي يخلق
من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر
وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له
وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب الى الله
ولا ينسب الى البشر المجرى على يده ﻫ ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح

كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول
رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك
ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم ﻫ فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح
انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم
النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب
غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباؤه لما
عصيتموه ولما عاقبكم ﻫ بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر ﻫ يغفر
لمن يشاء وهم اهل الطاعة ﻫ ويعذب من يشاء وهم العصاة ﻫ يبين
لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى
يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم ﻫ على فترة متعلق
بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ﻫ ان
تقولوا كراهة ان تقولوا ﻫ فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا
فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمس مائة وستون
سنة وقيل ستمائة وقيل اربع مائة ونيف وستون وعن الكلبي كان
بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة
اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي
احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى
الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم ﻫ
جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء ﻫ و
جعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك

تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت
وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ﴿ما لم
يؤت احدا من العالمين﴾ من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ونحو ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم ﴿الارض
المقدسة﴾ ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل
فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا
لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت
المقدس قرار الانبياء ومسكن المومنين ﴿كتب الله لكم﴾ قسمها لكم وسماها
او خط في اللوح انها لكم ﴿ولا ترتدوا على ادباركم﴾ ولا تنكصوا على اعقابكم
مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال
الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا
نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في
دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم ﴿فترجعوا خاسرين﴾ ثواب الدنيا
والآخرة ﴿الجبار﴾ فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي
الذي يجبر الناس على ما يريد ﴿قال رجلان﴾ هما كالب ويوشع ﴿من الذين
يخافون﴾ من الذين يخافون من الله ويخشونه كانه
قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى
الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبابرة وزوهما
رجلان منهم ﴿انعم الله عليهما﴾ بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام
لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم
وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من

من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة
والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله
عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع
وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت
من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن
وما تبيّنا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في
قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة ﴿والباب﴾ باب قريتهم ﴿لن ندخلها﴾
نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس ﴿ابدا﴾ تعليق للنفي المؤكد
بالدهر المتطاول ﴿ما داموا فيها﴾ بيان للابد ﴿فاذهب انت وربك﴾
يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب
يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم
والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء
وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها
العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم
ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا
برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه
وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع
موافق يثق به الا هرون عليه السلام ﴿قال رب اني لا املك﴾ لنصرة
دينك ﴿الا نفسي واخي﴾ وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة
ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول
يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان

يدعوا الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء
ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون
منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في اني بمعنى ولا املك الا نفسي وان اخي
لا يملك الا نفسه او مرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل
انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك
وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح
العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه
الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن
الى ثباتهما لما ذاق طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم
على ح
فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط
ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني
على ديني ﻫ فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم
بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة
عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجني من القوم الظالمين ﻫ فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله
التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط
ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها
محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي
ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا
واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم
بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى

اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم
يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت
نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة
واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا
والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون
كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن
والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة
متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف
ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه
موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا
معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل
كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم
وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده
فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه
بغتة الا كالب ويوشع ﻫ فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء
عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم ﻫ ابنا آدم
لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة
الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط
فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان

نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدًا وسخطًا وتوعّده بالقتل وقيل ما رجلان
من بني اسرائيل ﴿بالحق﴾ تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد
لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون
عليه او اتل عليهم وانت محق صادق ﴿واذ قربا﴾ نصب بالنبأ اى
قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اى اتل
عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما
يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى
يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي
تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت
كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت
لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما
اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني و
ما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول
فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى
لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن
عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت
وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ﴿ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك﴾ قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج
عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
قاله مجاهد وغيره ﴿اني اريد ان تبوء باثمي واثمك﴾ ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك
واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى

قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت
كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه
قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم على ان
البادئ عليه اثم سبه ومثل اثم صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط
عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد
المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت
فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في
شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان
قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان
تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي باثم قتلي واثمك الذي
من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان اريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد
الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده
العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من
استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ
الفعل والجزاء اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت
ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة
للنفي ﴿فطوعت له نفسه قتل اخيه﴾ فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع
اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل
بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته
ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين
سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم ﴿فبعث

الله عمرا بما روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه
بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال
يا ويلتى اعجزت وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله
آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وروى ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر
وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون
من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب
تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه
وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي
للسوأة السوآء اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فأواري بالنصب
على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع
النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في
امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم
ندم التائب من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل
شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم
قد احتربوا في عاجل انا آجله اي جانيه كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا
اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان
جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي
ابتدأ الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا

بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم لا الفاخر لكنا
عليها وقرأ ابو جعفر من ذلك بكسر الهمزة وقرئ من اجل ذلك بحذف وقرئ
من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر
من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة
الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس على وجه الاقتصاص او فساد
عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقطع الطريق
ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق
او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجمع
وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر
من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله و
هتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجمع في ذلك
فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة
على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس
جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد
قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس
جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا
اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته
لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا
عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته
يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم
محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في

الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزله ويفسدون في الارض فانتصب
فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر
فكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا
عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قطعت
قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله
لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع
طريق كان مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او
يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفه ومحمد
يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا
المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعه منهم الحسن
والنخعي ان الامام يتخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير
تفصيل ونفي الحبس عند ابي حنيفه وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم
الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشه هي خزي
ذل وفضيحة هي الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق
خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا
وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه
تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة هي
الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابه او صنيعة او غير ذلك
فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي
وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله
واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب

لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر يوم القيمه ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي
به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيز خبر
ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان
قلت هو نحو قوله فلا توقيتا بها لغرضه او على اجراء الضمير
مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله
بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه
بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض هي قرا
ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله
وما هم بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس
يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى
وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرا ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته
المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق
ابن عم رسول الله وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني
عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله
احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصين ان الحديث فرية
ما فيها مرية هي والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه
آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما
ل — معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول
يضمن معنى الشرط وقرا عيسى ابن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة
العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه هي ايديهما ويجوز

بتثنية

فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين
اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم و
السارق في الشرع من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الشافعي
الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة
وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر
من قطع يد كل في درهم ه جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من
بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب
عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند
ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه ه من يشاء
من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط
حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير
عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم
في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت
لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة ه قرئ لا يحزنك بضم الياء
ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي
في اظهار ما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين
فانا ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد
بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه
اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها ه وآمنا مفعول قالوا ه و
وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ه ومن الذين هادوا منقطع عما قبله
خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ه ويجوز ان يعطف على من
الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او الذين

او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار
ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع الكلام
فلان ومنه سمع الله لمن حمده ه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني
اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما افرط فيهم
من شدة البغضاء وتبالغ في العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك
المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون
الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان
والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون
يهود خيبر ه يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ه ان اوتيتم هذا
المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به ه وان
لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال و
وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما
الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة
ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان
امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا
به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون
شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم
يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون

فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء
كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين
فرجما عند باب مسجده ه ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه
شيئا ه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم
ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون
بايات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ه
السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت
البركة كما قال الله تعالى يمحق الله الربوا والربا باب منه وقرئ السحت
بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته
والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى
على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه
احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر
الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله
فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال
اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به ه
قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب
بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا
ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو

منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله
ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة
او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فلانهم لا يرون
اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو
اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم
اليهوديين قبل نزول الجزية ه فلن يضروك شيئا لانهم كانوا
لا يتحاكمون الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان
فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه
عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله منهم ه بالقسط
ه بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم ه وكيف يحكمونك تعجيب من
تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي
يدعون الايمان به ه ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد
تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به ه وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل
التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب
قلت اما ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ او
خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم
التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة
لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير
عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التورية
قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب
فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك ه

فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبيّن لهم ما استبهم من الاحكام
الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض
باليهود وانهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم
والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا
مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد
هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود
بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية
اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل
ومن في كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا
يبدّل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما
الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم
ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله من حملهم على حكم الرجم وارغام
انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار
المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء
باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير
في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ
من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس
نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها
على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية
احد من القرناء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا
بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس

كما حرّف احبار اليهود كتاب الله وغيّروا احكامه رغبة في الدنيا
وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون
والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله
بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين
والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من
حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به
وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم
وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل
بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا في مصحف
ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات
قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى
وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان المعنى
الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة
تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو
قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا
عليهم فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق
وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن
مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص
وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن
عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب
الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق

وعن ابن عباس

والمعطوفات في

يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن
عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق وقيل فهو كفارة للجاني اذا
تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابيّ فهو كفارته
له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها
وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو ه وقفيته
مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه
الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية
قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه
اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله
يحكم بها الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه
اعجمي خرج كهابيل وآجر ه ومصدقا عطف على محل فيه هدى
ومحله النصب على الحال ه وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال
كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى
والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت
فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم
قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا
لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ
وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابيّ وان ليحكم
بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه
قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات
الله عليه كان متعبدا بما في التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ
وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله

النبيون ٩

فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل
ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب
وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه
عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة
ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق
وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ه ومهيمنا
ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا
عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل
او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه
كل احد ولاشمأزوا رادين منكرين ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك
عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا
منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ه ومنهاجا
طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين
بشرائع من قبلنا ه لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة
او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح
قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد
باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استئناف في معنى
التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل

من محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم
معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه
قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز
ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد
وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا
الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا
ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدق فابى ذلك
رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله
وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا
جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها
وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في
هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد
نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة و
نفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية
فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون
فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر
افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير
طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو

النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود
بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل
لا تصدر عن كتاب الله ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام
في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو
حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض
فقرا هذه الآية وقرئ تبغون بالياء والتاء وقرا السلمي افحكم الجاهلية
يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه
كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة
في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت
بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي
يبغونه انما يحكم به افعى نجران ونظيره من حكام الجاهلية فارادوا
بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله
لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا
الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله و
لا احسن حكما منه لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم
وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله اولياء بعض
اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف
دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا
تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه
لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم
اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى

لاقوام للبصنعة الآبه فقال مات النصرانی واللهِ يعنى هب انه قد مات فما يكون
صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدى
القوم الظالمين يعنى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم
مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم
لا يامنون ان تصيبهم دايرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه ودولة
من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه
انه قال لرسول الله ان لى موالى من يهود كثيرا عددهم وانى ابرا الى الله ورسوله من
ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر
لا ابرا من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع فعسى الله ان ياتى بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده بقطع شافة اليهود
ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم
وذلك انهم كانوا يشكون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
ما نظن ان يتم له امر وبالحرى ان تكون الدولة والغلبة لهولاء وقيل او امر
من عنده او امر من عنده او ان يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار
المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون
فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فاعطوا
بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا
قرى بالنصب عطفا على ان ياتى وبالرفع على انه كلام مبتدا اى ويقول الذين
آمنوا فى ذلك الوقت وقرى يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة
والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ فقيل
يقول الذين آمنوا اهولاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون
هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا

بما من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص اهولاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان
انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم
حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
حبطت اعمالهم من جملة قول المومنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا
يتكلفونها فى رأى اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم
فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال و
تعجبا من سوء حالهم فترى من يرتد ومن يرتدد وهو فى الامام
يدال وهو من الكائنات التى اخبر عنها فى القرآن قبل كونها وقيل
كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلث فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى وكان
كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب
رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدى
فيروز الديلمى بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله من الغد واتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة
قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها
لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله
عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس
فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام اراد فى جاهليتى واسلامى وبنو
اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم
بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه

فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري
وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة و
بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها
مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفروا
واستغفري امتن سجاح وواداها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن
زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة
في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة
وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل لما
نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال
قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة
آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا
ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب
على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل
الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان
كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة
المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق
والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل
المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي ابن عنها

صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما
انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون
النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة
فاذا لم تكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء
الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف
يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل
واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة
فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة
للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن
الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان
يكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال
المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين
خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من
جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم
قط وان يكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم
صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف
مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة
لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم
وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من

اللوّام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة
وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع
كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقّب النهي عن موالاة من
تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة
فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية
لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها لرسول الله والمؤمنين على
سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام
اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون
ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون
او النصب على المدح وفيه تمييز للخلّص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت
قلوبهم السنتهم الا انهم مفرّطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال
اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع
لله اذا صلّوا واذا زكّوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها
في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف
لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون
لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ
الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله
فينالوا مثل ثوابه ولينبّه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على
هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان
لزّهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان

حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم
بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل
باتخاذكم اياهم اولياء بل تقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب
من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله
ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر
قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم
مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها
الضمير للصلاة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فد
خلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في
البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على
ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان
لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قراءة
الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل
تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم
فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون
قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون

منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز
ان يكون على تعليل بحذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان
يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع
انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليله معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل
وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل
عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل
فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا انه
حين سمعوا ذكروا عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر
ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون
اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل
الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة
الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل
ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو
من لعنه الله كقوله قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل
من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومشورة فان قلت المثوبة
مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت
المثوبة موضع العقوبة على طريقة فتحية بينهم ضرب وجيع ومنه

فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين
هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون
ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر
عقوبة في الحقيقة والنفس من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد
الطاغوت عطف في صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي
قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرا ابن مسعود ومن عبدوا
وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعَبُد
وعُبُد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذُر وفطُن للبليغ في
الحذر والفطنة قال ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبُد وعُبُد بوزن
حُطَم وعَبيد وعُبُد بضمتين جمع عبيد وعَبَدة بوزن كفرة وعَبَد
واصله عَبَدة فحذف التاء للاضافة او هو بحذف في جمع خادم وعُبَد
وعُبّاد واعبُد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى
وعُبِد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت
معبودا من دون الله كقولك امُر اذا صار اميرا وعبدِ الطاغوت
بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم
عُبّاد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها
والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم
للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو
الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا
في معصية الله فقد عبده وقرا الحسن الطاغيت وقيل وجعل منهم
القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل

وعُبُد ح

كلا للمسخين من اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير وروى انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون
يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون
هم شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في
قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت
في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون
له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا
لم يتعلق بهم شئ مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله ومواعظك وقوله
بالكفر وبه حالان اى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين
بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا
للماضى من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة
عليهم فكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو
متعلق بقوله قالوا آمنا اى قالوا ذلك وهذه حالهم هو الاثم الكذب
بدليل قوله عن قولهم الاثم هو والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك و
وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم
الى غيرهم هو والمسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة هو لبئس ما كانوا يصنعون
كانهم جعلوا آثم من مرتكبى المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى
صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى فى ذلك
ان مواقع المعصية معه الشهوة التى تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذى
ينهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فاذا فرط فى الانكار كان اشد حالا من
المواقع ولعمرى ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن
ابن عباس رضى الله عنه هى اشد آية فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن

آية اخوف عندى منها هو غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط و
لا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده
بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان على
حقيقة واحدة حتى انه يستعمله فى ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه
الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع
الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد
وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها
حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه
تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا فى قوله اذ اصبحت بيد
الشمال زمامها ويقال بسط الياس كفيه فى صدرى فجعلت للياس الذى
هو من المعانى لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمى
عن تبصر محجة الصواب فى تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد
الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله
مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه
ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت
يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل
خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفرى وانحرفت عن
العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدى حقيقة يغللون فى
الدنيا اسارى وفى الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث
اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبنى سب الله دابره اى
قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز

الاشتر

ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وسموا البخل والنكد قلت
المراد به الدعاء بالخذلان الذي يقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا
الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق
العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت
لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة
قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية
السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله
من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك هـ وقرئ
ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطتان
يقال يده بسط بالمعروف ونحو مشية سجح وناقة سرح هـ ينفق الا على
مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود
حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله
عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك
قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا
هـ ليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود
وكفرا بآيات الله هـ والقينا بينهم العداوة فكلمتهم ابدا مختلف وقلوبهم
شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد هـ كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا
محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم
الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول
الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس هـ ويسعون
ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم هـ ولو ان

اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا
ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات
ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي
اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب
التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات
اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى
كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب هـ ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل اقاموا باحكامها وحدودها وما فيهما من نعت رسول الله وما
انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت
اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا هـ وقوله
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه
ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة
والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها
من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم هـ منهم
امة مقتصدة طائفة حالها امم من عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة
المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء
ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب
بن الاشرف واصحابه والروم هـ بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء
انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه هـ
وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم
تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان
بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت

اذا ما جميعًا كما انّ من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها
بما يدلى به غيرها وكونها لذلك فى حكم شئ واحد والشئ الواحد لا يكون مبلّغا
غير مبلّغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضى الله عنه ان كتمت
آية لم تبلّغ رسالاتى وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته
فضقت بها ذرعًا فاوحى الله الىّ ان لم تبلّغ رسالاتى عذّبتك وضمن لى
العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلّغت رسالاته جزاء للشرط
ما وجه صحّته قلت فيه وجهان احدهما انّه اذا لم يمتثل امر الله فى
تبليغ الرسالات وكتمها كلّها كانّه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعًا
لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلّغ منها ادنى شئ وان كلمة واحدة فانت
كمن ركب الامر الشنيع الّذى هو كتمان كلّها كما عظم قتل النفس بقوله
فكانّما قتل الناس جميعًا والثانى ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه
كتمان الوحى كلّه من العقاب فوضع السبب موضع المسبّب و
يعضده قوله عليه السّلام فاوحى الله الىّ ان لم تبلّغ رسالاتى عذّبتك
والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن
لك العصمة وقد شجّ فى وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت
المراد انه يعصمه من القتل وفيه انّ عليه ان يحتمل كلّ ما دون النفس
فى ذات الله فما اشدّ تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد
يوم احد والناس الكفّار بدليل قوله انّ الله لا يهدى القوم
الكافرين ومعناه انه لا يمكّنهم ممّا يريدون انزاله بك من الهلاك وعن
انس كان رسول الله يحرس حتّى نزلت فاخرج راسه من قبّة
ادم فقال انصرفوا ايّها الناس فقد عصمنى الله من الناس لستم
على شئ اى على دين يعتدّ به حتّى يسمّى شيئًا لفساده وبطلانه كما

تقول هذا ليس بشئ تريد به تحقيره وتصغير شانه وفى امثالهم اقلّ من
لا شئ فلا تأس فلا تتاسّف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فانّ ضرر
ذلك راجع اليهم لا اليك وفى المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف والنيّة به التاخير عمّا فى حيّز انّ من اسمها
وخبرها كانّه قيل انّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدًا له والّا فاعلموا انّا وانتم
بغاة ما بقينا فى شقاق اى فاعلموا انّا بغاة وانتم كذلك
فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محلّ انّ واسمها
قلت لا يصحّ ذلك قبل الفراغ من الخبر لا يقول انّ زيدا
وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصحّ والنيّة به التاخير فكانّك
قلت انّ زيدا منطلق وعمرو قلت لانّى اذا رفعته رفعته
عطفًا على محلّ انّ واسمها والعامل فى محلّهما هو الابتداء فيجب ان
يكون هو العامل فى الخبر لانّ الابتداء ينتظم الجزئين فى عمله كما
ينتظمها انّ فى عملها فلو رفعت الصابئون المنوىّ به التاخير
بالابتداء وقد رفعت الخبر بانّ لاعملت فيهما رافعين مختلفين
فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بدّ له من معطوف عليه
فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله
انّ الّذين آمنوا الى آخره ولا محلّ لها كما لا محلّ للّتى عطفت عليها فان
قلت ما التقديم والتاخير الّا لفائدة فما فائدة هذا
التقديم قلت فائدته التنبيه على انّ الصابئين يتاب عليهم
ان صحّ منهم الايمان والعمل الصالح فما الظنّ بغيرهم وذلك انّ
الصابئين اشدّ الفرق ضلالا واشدّهم غيًّا وما سمّوا صابئين الّا انهم صبأوا عن الاديان كلّها اى خرجوا كما انّ

وسمها

الشاعر قدّم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف
بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا
يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدمًا فان
قلت فلو قيل والصابئين واياكم لكان التقديم حاصلًا قلت
لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه
وانما يقال مقدّم ومؤخّر للمزال لا للقارّ في مكانه ومجرى هذه الجملة
مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قيل الذين آمنوا
ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا
الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت
على الايمان واستقام ولم تخالجه ريبة فيه فان قلت
فما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف
عليهم والفاء لتضمّن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر انّ واما
النصب على البدل من اسم انّ وما عطف عليه او من المعطوف
عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم انّ قلت
محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ و
والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ
يستهزيون والصابون ومن صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى
والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابيّ
والصابيين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا ايها الذين
آمنوا والذين هادوا والصابيون ﻫ لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم
ﻫ كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف

اى رسول منهم ﻫ بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضادّ شهواتهم من مشاق
التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون
فريقين ولا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت
هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه
قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف
لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين
ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب
منها ﻫ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان انْ هي المخففة
من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت انّ وحذف ضمير الشان
فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على انّ التي هي للتحقيق
قلت نزّل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت
فاين مفعولا حسب قلت سدّ ما اشتمل عليه صلة انْ وانّ
من المسند والمسند اليه مسدّ المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل
انهم لا تصيبهم من الله فتنة اى بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة ﻫ فعموا
عن الدين وصمّوا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله
عليهم ثم عموا وصمّوا كرّة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله
وهو الرؤية وقرئ عُموا وصُموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمّهم اى
رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته
اذا ضربته بركبتك ﻫ كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني
البراغيث او هو خبر مبتدأ محذوف اى اولئك كثير منهم ﻫ لم يعرف

حسبانهم

عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم فى انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج
على النصارى ﻫ انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما هو مختص به من
صفاته اوافعاله ﻫ فقد حرّم الله عليه الجنة التى هى دار الموحدين اى
حرّمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرّم من المحرّم عليه ﻫ وما للظالمين
من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا
على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وردّه وانكره وان كانوا
معظّمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى
ولا ينصركم احدٌ فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبُعده
عن المعقول او ولا ينصركم ناصر فى الآخرة من عذاب الله ﻫ من قوله
وما من اله الّا الهٌ واحدٌ للاستغراق وهى المقدّرة مع لا التى لنفى الجنس
فى قولك لا اله الّا الله والمعنى لا اله قط فى الوجود الّا اله موصوف
بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له ﻫ ومن قوله ليمسّنّ الذين
كفروا منهم للبيان كالتى فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت
فهلا قيل ليمسّنّهم عذاب اليم قلت فى اقامة الظاهر مقام الضمير
المضمر فائدة وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله لقد كفر الذين قالوا وفى
البيان فائدة اخرى وهى الاعلام فى تفسير الذين كفروا بهم انهم بمكان من الكفر
والمعنى ليمسّنّ الذين كفروا من النصارى خاصّة عذاب اليم اى نوع شديد
الالم من العذاب كما تقول اعطنى عشرين من الثياب تريد من الثياب
خاصّة لا من غيرها من الاجناس التى يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان
يكون للتبعيض على معنى ليمسّنّ الذين بقوا على الكفر منهم لانّ كثيرا منهم تابوا
من النصرانية ﻫ افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكرّرة عليهم
بالكفر وهذا الوعيد الشديد ممّا هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم

ﻫ والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ﻫ قد خلت من قبله
الرسل صفة لرسول اى ما هو الّا رسول من جنس الرسل الذين خلوا
من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيا
الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حيّة تسعى وفلق البحر وطمس على
يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى ﻫ
وامّه صدّيقة اى وما امّه ايضا الّا كبعض النساء المصدّقات للانبياء
المؤمنات بهم فما منزلتهما الّا منزلة بشرين احدهما نبى والآخر
صحابى فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به ساير
الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميّز ولا تفاوت بينها وبينهم بوجه من الوجوه ثم
صرّح ببعدهما عمّا نسب اليهما فى قوله كانا يأكلان الطعام لانّ من احتاج
الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن الّا جسما مركّبا
من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير
ذلك ممّا يدلّ على انه مصنوع مؤلّف مدبّر كغيره من الاجسام ﻫ كيف
يُبيّن لهم الآيات اى الاعلام من الادلّة الظاهرة على بطلان قولهم ﻫ
انّى يؤفكون كيف يُصرفون عن استماع الحق وتأمّله فان قلت
ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعنى انه
بيّن لهم الآيات بيانا عجيبا وانّ اعراضهم عنها اعجب منه ﻫ ما لا يملك
هو عيسى اى شيئا لا يستطيع ان يضرّكم بمثل ما يضرّكم به الله مثل ما يصيبكم به
الله من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل
ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولانّ كل ما
يستطيعه البشر من المضارّ والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه
لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره منافٍ للربوبية حيث جعله

لا استطيع ضرًا ولا نفعًا وصفه الرب ان يكون قادرًا على كل شئ لا يخرج مقدور
عن قدرته ﻫ والله هو السميع العليم متعلق بأ تعبدون اى اتشركون
بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون
العاجز والله هو الذى السميع العليم الذى يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم
كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حى قادر ﻫ غير الحق صفة للمصدر اى
لا تغلوا فى دينكم غلوًا غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو فى الدين غلوان
حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد
ويجتهد فى تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد
رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع ﻫ قد ضلوا من
قبل هم ائمتهم فى النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه
وسلم ﻫ واضلوا كثيرًا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول
الله ﻫ عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله
لعنهم فى الزبور على لسان داود وفى الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل
ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة
ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما
اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى
ﻫ ذلك بما عصوا اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سبب المسخ الا
لاجل المعصية والاعتداء ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون اى لا ينهى بعضهم بعضا
عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجب من سوء فعلهم مؤكدًا
لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عن باب التناهى عن المناكير

وقلة عنايتهم به كانه ليس من ملة الاسلام فى شئ مع ما يتلون من كلام الله وما فيه
من المبالغات فى هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهى
عن المنكر تفسيرًا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل
امر بالتناهى فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان فى التناهى
حسمًا للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف
المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن
معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى
امارات الخوض فى الفسق والآته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينهون
ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال
تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ﻫ ترى كثيرا منهم هم منافقون
اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ﻫ ان سخط الله عليهم
ﻫ هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله
عليهم والمعنى موجب سخط الله عليهم ﻫ ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا
غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى ان موالاة المشركين كفى بها
دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرًا منهم فاسقون متمردون
فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى يعنى اليهود ما اتخذوا
المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ﻫ وصف الله شدة شكيمة اليهود و
وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم
وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين
بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل فى قوله
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمرى انهم لكذلك واشد
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلى سهوله

ما خذ النصارى وقرب مودتهم للمومنين بان منهم قسيسين ورهبانا اى علماء
وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك
وفيه دليل بين على ان العلم انفع شى واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى
علم القسيسين وكذلك علم الاخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب
والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون
عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشى انه قال لجعفر بن ابى طالب
حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه
عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة
تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة طه الى قوله
وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشى وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على
رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام فى قوله للذين
آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التى اختصت المومنين
اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التى اختصت المومنين
اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود
بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة
بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت
معناه تمتلى من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلى الاناء او غيره حتى
تطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء
وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة فى وصفهم
بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اى تسيل من الدمع من اجل
البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اى فرق بين من

ومن فى قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان
فيض الدمع ابتدا ونشا من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية
لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا
بالسنة وقرى ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به
انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين
هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك
لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين
وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن
بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذاك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن
النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو فى ونطمع واو
الحال فان قلت ما العامل فى الحال الاولى والثانية قلت العامل
فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كانه قيل اى شى حصل لنا غير مؤمنين
وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها
وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن
على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا
الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث
وبين الطمع فى صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول فى
الاسلام لان الكافر ما ينبغى له ان يطمع فى صحبة الصالحين وقرا الحسن فاتاهم
الله بما قالوا بما تكلموا به من اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده
وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى

الايمان

لحين

فاثابهم ح

قول ح

لا تحرّموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرّمناها على انفسنا مبالغة منكم
في العزم على تركها تزهّدًا منكم او تقشّفًا وروي انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
وصف القيامة لاصحابه يومًا فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقّوا واجتمعوا
في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسآء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبّوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم انّي لم اومر بذلك انّ لانفسكم عليكم حقًّا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانّي اقوم وانام واصوم وافطر واقوموا
وناكل اللحم والدسم وآتي النسآء فمن رغب عن سنّتي فليس منّي فنزلت
وروي ان رسول الله كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل
وقال ان المؤمن حلو يحبّ الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له انّي
حرّمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفّر يمينك وعن الحسن
انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها
الالوان من الدجاج المسمّن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية
فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنّه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن
عليه وقال يا فُرَيْقِد أترى لعاب النحل مع لباب البرّ بخالص السمن
يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا اؤدّي شكره
قال افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل انّ نعمة الله عليه في الماء
البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادّب عباده
فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قومًا وسّع
عليهم الدنيا فتنعّموا واطاعوا ولا عذر قومًا زواها عنهم فعصوه ه
ولا تعتدوا ولا تتعدّوا حدود ما احلّ لكم الى ما حرّم عليكم او ولا تسرفوا

او ولا تسرفوا في تناول الطيّبات اعتدآء وظلما فنهى عن الاعتدآء ليدخل
تحته النهي عن تحريمها دخولا اوّليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا
بذلك ه وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجه الطيّبة التي تسمّى رزقا ه
حلالا حال مما رزقكم الله ه واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به
وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى
في الانتهآء الى ما امر به وعما نهى عنه ه اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها
انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب
الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك
وليس كما ظنّ وهو قول ابي حنيفة ه بما عقدتم الايمان بتعقيدكم
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي انّ الحسن سئل عن
لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب
عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمّد عاقدات العزآئم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما
التي عقدتم فحذف المضاف ه فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة
التي من شانها ان تكفّر الخطيئة اي تسترها ه من اوسط ما تطعمون من اقصده
لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتّر وهو عند ابي حنيفة
نصف صاع من برّ او صاع من غيره لكل مسكين او يغدّيهم ويعشّيهم وعند
الشافعي مدّ لكل مسكين ه وقرأ جعفر بن محمّد اهاليكم بسكون اليآء
والاهالي اسم جمع كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم
اهلون كقولهم ارضون بسكون الواو اما تسكين اليآء في حال النصب

فللخفيف كما قالوا ادابنت معدى كرب تشبيها للياء بالالف ﻫ او كسوتهم عطف على
على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة فى قدوة واسوة فى اسوة
والكسوة ثوب يغطى العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزى يومئذ
وعن ابن عمر ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن
الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد بن المسيب والياني او كاسوتهم بمعنى
او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم من مقدار
ولكن تؤاسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت
النصب تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط ﻫ او
تحرير رقبة شرط الشافعى الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة
فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة فى كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى
او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها
اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدا منها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند
ابى حنيفة تمسكا بقراءة ابى وابن مسعود رضى الله عنهما فصيام ثلاثة
ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير فى كفارة
اليمين ﻫ ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا
بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك اذا ذكر
الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث فى الحلف لا بنفس الحلف
والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابى حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعى
بالمال اذا لم يعص الحانث ﻫ واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان
التى الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس
وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها
تهاونا بها ﻫ كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم آياته اعلام شريعته واحكامه ﻫ

ل
يبين

لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه ﻫ اكد تحريم الخمر والميسر
وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه
قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال فاجتنبوا
الرجس من الاوثان ومنها انه جعلها من عمل الشيطان والشيطان لا ياتى منه
الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب ومنها
انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب
فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منها من الوبال وهو
وقوع التعادى والتباغض من اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد
عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة ﻫ وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ
ما ينهى به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع
هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان
قلت الام يرجع الضمير فى قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف
كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس
من عمل الشيطان ﻫ فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم
افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه
من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر
واظهار ان ذلك جميعا من اعمال اهل الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره و
كانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله فى علم الغيب وبين من شرب
خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر ﻫ وقوله وعن
الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا ﻫ
واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة
وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم فى الخمر والميسر او فى ترك طاعة

الله والرسول هـ فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف
الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه
هـ رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها
هـ اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح
وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما
رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال
الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات
اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة
ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك
هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد
جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن
محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل هـ نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من
صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم هـ ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز
من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن
لا يخافه فيقدم عليه هـ فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد
لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد
قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض
عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه
بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند

ما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء هـ حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع
رداح هـ والمتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه
قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد
فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب
صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطاء
فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي
انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله
فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد
والخطاء لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره
ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة
بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء شيئا اخذا باشتراط العمد
في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه
جزاء يماثل ما قتل من الصيد وعند ابي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث
صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته
قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل
ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله
نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان
قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل
وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان
يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله
من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد

واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزا اى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذى
فى الآية بين ان يجزى بالهدى او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة
ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم الى الثلثة يختار فاما اذا عمد
الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيا لا نظير
له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو فى الآية الا ترى الى
قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء
الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ
فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه
ان يجزى مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب
زيد وقرا السلمى على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل ﻫ وقرا الحسن من النعم بسكون العين استثقل
الحركة على حرف الحلق فسكنه ﻫ يحكم ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين
قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال
عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه
والله ما علم امير المومنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال
اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به
من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام ﻫ هديا حال عن جزاء فيمن
وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل
فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير فى به
ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة

ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابى حنيفة وعند الشافعى
فى الحرم فان قلت علام يرتفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر
مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزى
جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزى وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة
وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة
بمعنى خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحده لانه واقع موقع
التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس ﻫ وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق
بينهما ان عدل الشى ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل
به فى المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل
وذلك اشارة الى الطعام ﻫ وصياما تمييز للعدل كقولك لى مثله رجلا والخيار
فى ذلك الى قاتل الصيد عند ابى حنيفة وابى يوسف وعند محمد الى الحكمين
ﻫ ليذوق متعلق بقوله فجزاء اى فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق متعلق
بقوله فجزاء اى فعليه ان يجازى ويكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام
والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه
من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذى يثقل على
المعدة فلا يستمرا ﻫ عفا الله عما سلف لكم من الصيد فى حال الاحرام قبل
ان تراجعوا رسول الله وتسالوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم فى الجاهلية
منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ﻫ ومن عاد
الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهى عنه فينتقم الله منه فينتقم خبر مبتدا
محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يومن بربه
فلا يخاف بخسا يعنى ينتقم منه فى الآخرة واختلف فى وجوب الكفارة على العايد

فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء
وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة عليه
﴿احل لكم صيد البحر﴾ مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل ﴿وطعامه﴾ وما يطعم من صيده و
والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك
وحده عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير
الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه ﴿متاعا لكم﴾ مفعول له اي
احل لكم تمتيعا لكم وهو في مفعول له بمنزلة قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾
في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالتطعام كما ان نافلة حال
مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه
قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه ﴿وصيد البر﴾
ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء
عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد
وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير
انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي
واحمد بن حنبل لا يباح له ما صيد لاجله ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر
قلت قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله ﴿وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما﴾ لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون
فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين
كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم﴾
وقراءة ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل ﴿و﴾ قرئ ما دمتم بكسر
الدال فيمن يقول دام يدام ﴿البيت الحرام﴾ عطف بيان على جهة المدح لا على

جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك ﴿قياما للناس﴾ انتعاشا لهم في امر دينهم و
دنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لانه يلتئم لهم
من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما
واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا ﴿والشهر الحرام﴾ والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله و
قيل عني به جنس الاشهر الحرم ﴿والهدي والقلائد﴾ والمقلد منه خصوصا
وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ﴿ذلك﴾ اشارة الى جعل
الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد
وغيره ﴿لتعلموا ان الله يعلم﴾ كل شيء وهو عالم بمصالحكم ويبعثكم مما امركم به و
كلفكم ﴿شديد العقاب﴾ لمن انتهك محارمه ﴿غفور رحيم﴾ لمن حافظ عليها
﴿ما على الرسول الا البلاغ﴾ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول
قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر
لكم في التفريط ﴿...﴾ البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان
قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل
فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات
الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب
وفاسدها وجيد الناس ورديهم ﴿فاتقوا الله﴾ وآثروا الطيب وان قل على الخبيث
وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة وكاثر
بسعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا يدهمنك من دهمائهم
عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون
ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين ﴿و﴾ الجملة الشرطية
والمعطوفة عليها اعني قوله ﴿ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها﴾

حين ينزل القرآن تبد لكم صعب الاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى
تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم
وتندموا على السؤال عنها وذلك ان ما روى ان السراقة مالك او عكاشة بن
محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال صلى الله عليه وسلم
ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما
استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان
تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم
يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون
انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من
مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته
فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل
عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته
بعن وانما هو راجع الى مسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة
قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك
ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشيا فاذا امروا بها تركوها
فهلكوا كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر
بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها
المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او
برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان

يستفتون

الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة ولا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء
ولا مرعى ومعنى ما جعل الله ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك
ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ولا ينسبون التحريم
الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في اولو كان
اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان
اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي
وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل
العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم
وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم
اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم
ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية
منهم وعن ابن مسعود انها قرئت فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة
ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون بالمعروف فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم
فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا
زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي
ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك

ودع امر العوام وان من وراءكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم
مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت
اباك ولاموه فنزلت ه عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم
ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان
ان يكون خبرا مرفوعا وينصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر
مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا على الضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره
يضيره ويضوره ه ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على
تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان
يشهد اثنان وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرا الحسن شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة ه وحين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة
التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته
وظهور امارات بلوغ الاجل ه منكم من اقاربكم ه من غيركم من الاجانب ه ان
انتم ضربتم في الارض يعني وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم
فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال
الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل
الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام
لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا
ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان
من المهاجرين مع عدي بن يزيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام
فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه

وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من
فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل
الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله فنزلت تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما للحلف ه من بعد الصلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون
للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد
الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة اهل
الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ه ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين
وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه
انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما ه والضمير في به للقسم
وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا
من الدنيا اي نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له
قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون
تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين ه شهادة الله اي الشهادة التي امر الله
بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله
بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه
بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض
منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادا لولى

ان ارتبتم اعتراض من القسم والمقسم عليه والمعنى ان
ح

فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل
بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان
قلت كيف فسّرت الصلاة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت
لمّا كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو
قلت في بعض ائمة الفقه اذا صحّ اخذ في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز
ان تكون اللام للجنس وان يُقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون
الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور انّ الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر هم فان عُثر فان اطّلع على انهما استحقا اثما
اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين هم فآخران
فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم اي من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من
الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصّة بديل انه لما
ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انّه اناء صاحبهما
وان شهادتنا احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرا
بتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما
فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران
ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين
منهم بالشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه
وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى
الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن
الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي والجواب

بدون ذلك فوجهه عندهم انّ الورثة قد ادّعوا على النصرانيين انهما اختانا
فحلفا فلمّا ظهر كذبهما ادّعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت
اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ
استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابيّ وابن عباس
قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان
يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين هم ذلك الذي تقدم من
بيان الحكم ادنى ان يأتوا بالشهادة على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها
هم او يخافوا ان تردّ ايمان ان تكرّ ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا
بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل هم واسمعوا سمع اجابة وقبول هم يوم
يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه
قيل واتقوا الله يوم يجمع او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة
يومئذ كما يفعل بغيرهم او يُنصب باضمار اذكروا ويوم يجمع الله الرسل
كان كيت وكيت هم وما منتصب باجبتم انتصاب مصدر على معنى
اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت
ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد
فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت
يعلمون انّ الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه
واحاطته بما مُنوا به منهم وكابدوا من سوء اجاباتهم اظهارا للتشكي و
اللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافتّ في اعضادهم
واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي
انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصّة
من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطّلع على كنهها وعزم على الانتصاد

له منه فيجمع بينهما ويقول لهم ما فعل بكم هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به
يريد توبيخه وتبكيته فيقولون له انت اعلم بما فعل بنا تفويضا للامر الى علمك
واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتغطيةً لما حل به منه وقيل من هول ذلك
اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم
عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك
علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم
لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا
وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق
العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره
ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان ح
اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام
فكذبوهم وسموهم سحرة وجاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل
فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه
الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي
يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوزار الآثام
والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد هو في المهد في موضع الحال لان
المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة
وقيل روح القدس جبرئيل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة
فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم
في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة

الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي
يستنبأ فيه الانبياء ح والتورية والانجيل خصا بالذكر مما
تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل
الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة
مثل هيئة الطير ح باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها
صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف
اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في يكون
ح تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية ح واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا
بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر و
يأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت
فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات ح واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم
على السنة الرسل ح مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله ح عيسى
في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو
وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن
عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون
الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم
واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى
ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم
كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين
لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في
اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من

الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مومنين ان كنت دعواكم
للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك
من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها
من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او
نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على
ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان
والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم
العذاب اذا خالفوه وقرأ ونعلم بالياء على البناء للمفعول ونعلم و
تكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف
النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون
يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى وقيل
العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا
سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيره ما يرثني ويرثني
لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل
ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز
للمتقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث
بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه
للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي
ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا
فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم
ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني

من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال
لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها
فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام
الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون
يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن
الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشرط
وهو قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن
الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله
وآخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك من ان يكون لك شريك
ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي و
المعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة
وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت
علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة
الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان في
قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر

والمفسّر امّا فعل القول وامّا فعل الامر وكلاهما لا وجه له امّا فعل القول
فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسّط بينهما حرف التّفسير لا تقول ما قلت
لهم الّا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الّا اعبدوا الله وامّا فعل
الامر فمسند الى ضمير الله عزّ وجلّ فلو فسّرته باعبدوا الله ربّى و
ربّكم لم يستقم لانّ الله لا يقول اعبدوا الله ربّى وربّكم وان جعلتها
موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتنى به او من
الهاء فى به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الّذى يقوم مقام المبدل
منه ولا يقال ما قلت لهم الّا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم
الّا عبادته لانّ العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء
لانّك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الّا ما امرتنى
بان اعبدوا الله لم يصحّ لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته
فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه
لانّ معنى ما قلت لهم الّا ما امرتنى به حتّى يستقيم تفسيره بان اعبدوا
الله ربّى وربّكم ويجوز ان تكون انّ موصولة عطف بيان للهاء
لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه
امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتديّنوا به فلمّا توفّيتنى كنت انت
الرّقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلّة وانزلت
عليهم من البيّنات وارسلت اليهم من الرّسل ان تعذّبهم فانّهم
عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذّبين لانبيائك
وان تغفر لهم فانّك انت العزيز القوىّ القادر على الثواب و
العقاب الحكيم الّذى لا يثيب ولا يعاقب الّا عن حكمة وصواب
فان قلت المغفرة لا تكون للكفّار فكيف قال وان تغفر لهم

قلت ما قال انّك تغفر لهم ولكنّه بنى الكلام على ان فقال ان عذّبتهم
عدلت لانّهم احقّاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم فى
المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكلّ مجرم فى المعقول بل متى
كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع
بالرّفع والاضافة وبالنّصب امّا على انّه ظرف لقال وامّا على انّ
هذا مبتداء والظرف خبر ومعناه هذا الّذى ذكرنا من كلام عيسى
واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانّه مضاف
الى متمكّن وقرأ الاعمش يومٌ ينفع بالتّنوين كقوله واتّقوا يوما لا تجزى
فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم فيهم
فى الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم فى الدّنيا فليس
بمطابق لما ورد فيه لانّه فى معنى الشهادة لعيسى عليه السّلم بالصدق
فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصّدق المستمرّ
بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلّمان تكلّما يوم
القيمة امّا ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحقّ فصدق
يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وامّا عيسى
فكان صادقا فى الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت
فى السّموات والارض العقلاء وغيرهم فهلّا غلّب العقلاء فقيل
ومن فيهنّ قلت ما يتناول الاجناس كلّها تناولا عامّا الا ترى انّك
تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو
ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات
ومحى عنه عشر سيّئات ورفع له عشر درجات بعدد كلّ يهودى

ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية وعن ابن عباس
غير ست ايات وهي مائة وخمس وستون اية ﻫ
بسم الله الرحمن الرحيم
جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله
وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق
والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل ان الخلق فيه معنى
التضمين كانشاء الشيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان
الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان
من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل
الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد
الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه
ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف
النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على
معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين
كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات
على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان
يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد
لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم
ﻫ ثم قضى اجلا اجل الموت ﻫ واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل

اجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث و
هو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدأ
النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه في قوله
واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة
كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان
يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب
التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان
الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم ﻫ في السموات متعلق
بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية
فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون
الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات و
الارض بمعنى انه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيها
فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان
اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه
السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا
بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر
ثالث ﻫ ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ﻫ
من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما
يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار
ﻫ الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون
به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب ﻫ كذبوا مردود على كلام محذوف
كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها

ومو الحق لما جاءهم يعني قرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة
فعجزوا عنه ﻫ فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون و
هو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزؤا
وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم
في الدنيا او يوم القيمة عند ظهور الاسلام وعلو كلمته ﻫ مكنه في الارض
جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم
واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم
من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا
ﻫ والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر ﻫ
والمدرار المغزار فان قلت فاي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم
قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه
قادر على ان ينشئ مكانه آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقبيها ﻫ
كتابا مكتوبا ﻫ في قرطاس في ورق ﻫ فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على
الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا يبقى لهم علة ﻫ لقالوا ان هذا
الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره ﻫ لقضي الامر لقضي امر
هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك
قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن
ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم
كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف
عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته
زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدونه ومعنى ثم بعد ما بين الامرين

انما ع

قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان
مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ﻫ ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا
الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة
يقولون ما هذا الا بشر مثلكم لو شاء ربنا لانزل ملائكة ﻫ لجعلناه
رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل على رسول الله صلى
الله عليه في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة
في صورهم ﻫ وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ
فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك
فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق
بان ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم
مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم
حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة
وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما
يلبسون بالتشديد ﻫ ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى
من قومه ﻫ فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو
الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء فان قلت اي فرق بين
قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن
السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير
الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار
الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح ﻫ لمن ما
في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف

بيني وبينكم ولا تعدلون ان تضيفوا شيئًا منه الى غيره ۞ كتب على نفسه
الرحمة اى اوجبها على ذاته فى هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة
لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ۞ ثم اوعد مَن
على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شئ بقوله ليجمعنكم الى يوم
القيمة فيجازيكم على شرككم ۞ وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او
رفع اى اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت
كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه
الذين خسروا انفسهم فى علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يومنون به ۞ وله
عطف على الله ۞ ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعدّيه بفى كما
فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم ۞ وهو السميع العليم
يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه
الملوان ۞ غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذى هو اتخذ لان
الانكار فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان اولى بالتقديم
ونحوه افغير الله تامرونى اعبد الله اذن لكم وقرى فاطرِ السموات بالجر
صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهرى فطر وعن ابن عباس ما عرفت
ما فاطر السموات والارض حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بير
فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها ۞ وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق
كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها
من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وروى
ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول
والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب العقيلى وهو
يُطعِم ولا يُطعِم على بنائهما للفاعل وفسّر بان معناه وهو يُطعم ولا يستطعم

وحكى الازهرى اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى
وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع
ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر ۞ اول من اسلم لان النبى سابق امته
فى الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك
تبت اليك وانا اول المومنين ۞ ولا تكونن وقيل لى ولا تكونن من المشركين
ومعناه أُمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ۞ من يُصرف عنه العذاب
يومئذٍ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان اطعمت زيدًا
من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد
ادخله الجنة لان من لم يُعذَّب لم يكن له بدّ من الثواب وقرئ من يصرف
عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد
رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد عُلم من المدفوع عنه وتُرك ذكر
المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب
يومئذٍ بيصرف انتصاب المفعول به اى من يصرف الله عنه ذلك اليوم
اى هوله فقد رحمه وتنصر هذه القراءة قراءة ابى من يصرف الله عنه
۞ وان يمسسك الله بضرّ من مرض او فقرٍ او غير ذلك من بلاياه فلا
قادرَ على كشفه الا هو وان يمسسك بخيرٍ من غنًى او صحةٍ فهو على كل
شئ قدير فكان قادرًا على ادامته او ازالته ۞ فوق عباده تصوير
للقهر والعلوّ بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون ۞ الشئ
اعمّ العامّ لوقوعه على كل ما يصح ان يُعلم ويخبر عنه فيقع على القديم
والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال فى الله عز وجل
شئ لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم
لا كالاجسام ۞ واراد اى شئ اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد

ليبالغ بالتعميم ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ يحتمل ان يكون تمام الجواب
عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم
وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل
اذا كان هو الشهيد بيني وبينكم فاكبر شيء شهادة شهيد له ﴿ومن بلغ﴾
عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اى لانذركم به وانذر كل
من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه
الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا
صلى الله عليه وسلم ﴿ائنكم لتشهدون﴾ تقرير لهم مع انكار واستبعاد ﴿قل
لا اشهد﴾ شهادتكم ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى
﴿يعرفونه﴾ يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتاب
معرفة خالصة ﴿كما يعرفون ابناءهم﴾ بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم
ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة ابناء اهل الكتاب
به وبصحة نبوته ثم قال ﴿الذين خسروا انفسهم﴾ من المشركين ومن اهل
الكتاب الجاحدين ﴿فهم لا يؤمنون به﴾ جمعوا بين امرين متناقضين
فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله
امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن و
والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ﴿ويوم نحشرهم﴾
ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك
ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف ﴿اين شركاؤكم﴾ اى الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ معناه

ل نبوته

تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء
فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم
غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في
الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم
﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا
عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه و
والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم
الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب
وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ
بالياء ونصب الفتنة وبالتاء والياء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا
بالنصب على النداء ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ اى
يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الامور على ان الكذب والجحود لا وجه
لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير
تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا
يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما
قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا
على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
يعني في دنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي و
افحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه

ولا ينطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبوة وما ادرى ما يصنع من
ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا هو ومنهم
من يستمع اليك حين تتلوا القرآن روى انه اجتمع ابو سفين والوليد
والنضر وعتبه وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول
الله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته
يعنى الكعبه ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفين انى لاراه حقا
فقال ابو جهل كلا فنزلت هو والاكنة على القلوب والوقر فى الآذان
مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد
الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول
عنهم كانهم مجبولون عليه او هى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم
وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقر بكسر الواو
هو حتى اذا جاوك يقول الذين كفروا يجادلونك فى موضع الحال و
يجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاوك فى محل الجر بمعنى وقت مجيئهم
ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم
الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون
ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث
خرافات واكاذيب وهى الغاية فى التكذيب هو وهم ينهون الناس
عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون هو وان يهلكون بذلك الا انفسهم و

ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله
وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله
وينأى عنه فلا يؤمن به وروى انهم اجتمعوا الى ابى طالب وارادوا
برسول الله سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى
التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه
عيونا ودعوتنى وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا
لولا الملامة او حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا وعرضت
دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا فنزلت هو ولو ترى
جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا شنيعا وقفوا
على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هى تحتهم
او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا
اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البنا للفاعل من وقف عليه
وقوفا هو يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدءوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المومنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونومن
على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا اعود بمعنى دعنى
وانا لا اعود تركتنى او لم تتركنى ويجوز ان يكون معطوفا على
نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المومنين فيدخل
تحت حكم التمنى فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان
المتمنى لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة
فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقنى مالا
فاحسن اليك واكافيك على صنيعك فهذا متمن فى معنى الواعد فلو
رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافيه كذب كانه قال ان

رزقني الله مالاً كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار
ان على جواب التمني ومعناه ان رُدِدْنا لم نكذب ونكن من المومنين ۞ بل
بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم
عليهم فلذلك تمنّوا اما تمنّوا ضجراً لا انهم عازمون على انهم لو رُدّوا لآمنوا
وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يُسِرّونه وقيل هو في اهل
الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ۞ ولو رُدّوا
الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم
لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به ۞ وقالوا عطف على لعادوا
اى ولو رُدّوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل
معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم
لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به
دليلا على كذبهم ۞ وُقِفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما
يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم
وقيل عرّفوه حق التعريف ۞ قال مردود على قول قائل قال ماذا قال
لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اهذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على

البس ع

التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو
بحق وما هو الا باطل ۞ بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة
وما يتصل بها وقد حُقِّق الكلام فيه في موضع آخر ۞ وحتى غاية لكذبوا
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اى ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت
مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت
لما كان الموت وقوعًا في احوال الآخرة ومقدماتها جُعل من جنس الساعة
وسُمّي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد

فقد قامت قيامته او جُعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير
فترة ۞ بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه
قيل بغتتهم الساعة بغتة فرّطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء
بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصّرنا
في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرّطت في فلان ومنه فرّطت في جنب الله
۞ يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال
على الظهور كما أُلِف الكسب بالايدي ۞ ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون
وزرهم كقوله ساء مثلا القوم ۞ جعل اعمال الدنيا لعبًا ولهوًا واشتغالا
بما لا يعني ولا يُعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله
للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ
ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء ۞ قد في قد نعلم
بمعنى رُبّما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يُهلك المال
نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي
يقولون هو قولهم ساحر كذاب ۞ لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف
من كذّبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك
امر راجع الى الله لانك رسوله المصدّق بالمعجزات فهم لا يكذّبونك في الحقيقة
وانما يكذبون الله بجحود آياته فانْته عن حزنك لنفسك وانهم كذّبوك وانت
صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله و
والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم
وقيل فانهم لا يكذّبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون

بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين
فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك
يا محمد وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس
بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب
قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما
ذا يكون لسائر قريش فنزلت ﴿ولكن الظالمين﴾ من اقامة الظاهر
مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ﴿ولقد كذبت﴾ تسلية لرسول
الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه وانما هو
من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني ﴿على ما كذبوا واوذوا﴾ على تكذيبهم
وايذائهم ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ﴿ولقد جاءك من نبإ المرسلين﴾
بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين ﴿كان يكبر على النبي
صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك
انك لا تهدي من احببت ﴿وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت
ان تبتغي نفقا﴾ منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية
يؤمنون بها ﴿او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية﴾ فافعل يعني انك لا تستطيع
ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم
وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على
ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه
لو استطاع ذلك لفعل حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون

ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت
النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك
آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى
فلان نزوره ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل
لخروجه عن الحكمة ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ من الذين يجهلون ذلك
ويرومون ما هو خلافه ﴿انما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني ان الذين
تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب
من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ مثل لقدرته على
الجائهم الى استجابته بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة
﴿ثم اليه يرجعون﴾ للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفران
يحييهم بالايمان يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون
واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء ﴿لولا
نزل عليه آية﴾ نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف
وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل
وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا
منهم ﴿قل ان الله قادر على ان ينزل آية﴾ تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل
على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾
ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها
﴿امم امثالكم﴾ مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم
واعمالكم ﴿ما فرطنا﴾ ما تركنا وما اغفلنا ﴿في الكتاب﴾ في اللوح المحفوظ
﴿من شيء﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ﴿

ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف
بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف
قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من
دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من
دواب ولا طير حمل قوله الا امم امثالكم على المعنى فان قلت هلا قيل
وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير
بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من
دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع
ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان
قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته
ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس
المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله
شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم
من سائر الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة
ولا طائر وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه
قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه واثار قدرته
ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام
المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن
تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشاء الله يضلله
اي يخذله ويخليه وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف يجعل عليه
ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك
زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك

زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره
ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله
اغير الله تدعون بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا
اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة ه وتنسون ما تشركون وتتركون
الهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم
وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب
الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف
ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن
المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء
ايذانا بانه ان فعل كان له وجه في الحكمة الا انه لا يفعل لوجه اخر من الحكمة
ارجح منه ه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط
والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد
ارسلنا اليهم الرسل فكذبوه فاخذناهم ه لعلهم يتضرعون يتذللون
ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم ه فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا
معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا
ليفيد انه لم يكن عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم
باعمالهم التي زينها الشيطان لهم ه فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء
اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من
الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوح عليهم بين نوبتي الضراء والسراء

كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه
ه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير
انتداب لشكر ولا تصدٍّ لتوبة واعتذار ه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
واجمون متحسرون آيسون ه فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد
قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد
لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتّحنا
بالتشديد ه ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم
وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم ه يأتيكم به
اي يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه ه
يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع
الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن
ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة ه هل يهلك هلاك تعذيب وسخط
ه الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء ه الا مبشرين ومنذرين
ه من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم
ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة
ه واصلح ما يجب اصلاحه على ما كلف ه جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل
بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرّين والاقورين حيث
جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله
وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم
اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية
ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملكية حتى تستبعدوا

دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة
ه هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون
مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية او الملكية ه افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين
اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا
ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله
من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله
لانه من جملة المقول كأنه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول
ه وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي ه والذين يخافون ان يحشروا
اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم
بما اوحي اليه ه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين
واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من
حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن
يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء ه و
قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من
هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ه
ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر
المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف
ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها
والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح
والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه

نعتريه عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤوساء المشركين قالوا
لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار
وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم
جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا
بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك
ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو
فعلت حتى ننظر الى ما على الابدال من الرحمة ه بجهالة في موضع الحال
اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان
من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من
اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر
اي قالت فعلت فعل السفيه اجبن جئت في غير وقت المجيء على انها
قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل
بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى
يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى
ما سالوا ولم يعلم انها مفسدة ه قرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل
لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان
الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل
ايات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى
اسلامه ومن نرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة
ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل
كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل ه نهيت صرفت
وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة

ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا
فيه على غير بصيرة ه قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها
في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان لسبب الذي
منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
ه قد ضللت اذن اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك ه ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما
يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة
من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة
وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة
من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه
بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم
احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء
ه ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم ه يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما
يقضي من التاخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين
وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره
ه لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب ه
لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من
تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا ه والله اعلم بالظالمين وبما يجب
في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي حجة من جهة ربي وهي القرآن
وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل البيان او القرآن فان
قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي

يقضى القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا
صنعها اى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبدالله يقضى بالحق فان قلت
لم اسقطت الياء فى الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها فى اللفظ
لالتقاء الساكنين ﻫ جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح
يتوصل بها الى ما فى المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم
مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده
لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل
الى ما فى المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل
هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ﻫ ولا حبة ولا رطب ولا يابس
عطف على ورقة وداخل فى حكمها كانه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء
الا يعلمه ﻫ وقوله الا فى كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا
يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح
وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا
على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين
كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا فى الدار ﻫ وهو الذى يتوفيكم بالليل الخطاب
للكفرة اى انتم منسدحون الليل كله كالجيف ﻫ ويعلم ما جرحتم بالنهار
ما كسبتم من الآثام فيه ﻫ ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور فى شان ذلك
الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله
كقولك فيم دعوتنى فيقول فى امر كذا ﻫ ليقضى اجل مسمى وهو الاجل
الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ﻫ ثم اليه مرجعكم
وهو المرجع الى موقف الحساب ﻫ ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم
ﻫ حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابى حاتم

السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى كل شئ يلفظ به من فوائد العلم
حتى قال فيه انت شبه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال ابو حاتم
وهذا ايضا مما يكتب فان قلت ان الله تعالى غنى بعلمه
عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم
اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون
بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الاشهاد فى
مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء ﻫ
توفته رسلنا اى استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد
جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل
بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون
ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ﻫ ويفرطون بالتشديد والتخفيف
فالتفريط التوانى والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون
مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه ﻫ مولاهم
مالكهم الذى يلى عليهم امورهم ﻫ الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق
الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره ﻫ وهو اسرع الحاسبين لا يشغله
حساب عن حساب ﻫ وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك
الحمد لله الحق ﻫ ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما و
واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت
ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف
فى البر والغرق فى البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف
الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما ﻫ لئن انجيتنا
على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة ﻫ وقرئ ينجيكم

بالتخفيف والتشديد وانجاناه وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق قوم فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم او من تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى واخبرنى جبرئيل ان فناء امتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في قومك وكذب به راجع الى العذاب او هو الحق اى لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبإ لكل شيء ينبأ به يعنى انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس بان تجالسهم حينئذ واما ينسينك

الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهى قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقويهم ويزدادوها وروى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى دينهم الذى كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم

ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم ه وذكر به اى بالقرآن ان
تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها
واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالى بنى بغير جرم
ومنه هذا عليك بسل اى حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه
او لانه شديد البسور تعالى يبسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا
بسل والعابس منقبض الوجه ه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء
والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب
على المصدر وفاعل يوخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا
مصدر فلا يسند اليه الاخذ ه واما فى قوله ولا يوخذ منها عدل فبمعنى
المفدى به فصح اسناده اليه ه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا
ولهوا ه قيل فنزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد
الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار
النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى
الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام ه كالذى استهوته الشياطين
كالذى ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض فى المهمه ه
حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع ه له اى لهذا المستهوى
ه اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى
او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه
تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبنى على ما تزعمه العرب وتعتقده
ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه كالذى يتخبطه
الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان
والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله هو الاسلام

هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد
الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف فى قوله كالذى استهوته
قلت النصب على الحال من الضمير فى نرد على اعقابنا اى انكص مشبهين
من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت
هو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت
هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا
على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا
القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى
تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا
كان هذا واردا فى شان ابى بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد
الذى كان بين رسول الله والمومنين خصوصا بينه وبين الصديق ر
رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا
قلت على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان
ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة
الصلوة ه قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه
بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى
انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول الشئ من
الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق الحكمة اى لا يكون شيئا من السموات
والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ه ويوم ينفخ ظرف
لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون
قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل

وحين يكون ويقدر يقوم بالحق ه عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه
على المدح ه آزر اسم ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارح
والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ و
وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم
على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزوم عبادته كما نبز
ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات
وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت
بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وقرئ أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا
على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في
حكم الانكار لانه كالبيان له ه فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم
لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف
عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت
السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال ه وليكون
من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه
يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على
الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان
النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث
فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها
وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها ه هذا ربي قول من ينصف

من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه
لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة ه لا احب الآفلين لا احب ارباب المتغيرين عن
حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان
ذلك من صفات الاجرام ه بازغا مبتدئا في الطلوع ه لئن لم يهدني
ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في
الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق هو بتوفيق الله ولطفه ه
هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما
تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها ه اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه
وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في
نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم
اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون
البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول
اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في
قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر
لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك
ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة
الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا
علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ
تري ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية ه وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه

فی توحید الله ونفی الشرکاء عنه منکرین لذلک ﻫ وقد هدانی یعنی
الی التوحید ﻫ ولا اخاف ما تشرکون به وقد خوفوه ان معبوداتهم
تصیبه بسوء ﻫ الا ان یشاء ربی شیئًا الا وقت مشیئة ربی شیئًا فاف
فحذف الوقت یعنی لا اخاف معبوداتکم فی وقت قط لانها لا تقدر علی
منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربی ان یصیبنی بمخوف من جهتها ان اصبت
ذنبًا استوجب به انزال المکروه مثل ان یرجمنی بکوکب او بشق من الشمس
او القمر او یجعلها قادرة علی مضرتی ﻫ وسع ربی کل شیء علمًا ای لیس بعجب
ومستبعد ان یکون فی علمه انزال المخوف بی من جهتها ﻫ افلا تتذکرون
فتمیزوا بین الصحیح والفاسد والقادر والعاجز ﻫ وکیف اخاف
لتخویفکم شیئا مامون الخوف لا یتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون
ما یتعلق به کل خوف وهو اشراککم بالله ﻫ ما لم ینزل باشراکه سلطانا
ای حجة لان الاشراک لا یصح ان تکون علیه حجة کانه قال وما لکم تنکرون
علی الامن فی موضع الامن ولا تنکرون علی انفسکم الامن فی موضع الخوف
ﻫ ولم یقل فاینا احق بالامن انا ام انتم احترازًا من تزکیته نفسه فعدل
عنه الی قوله فای الفریقین یعنی فریقی المشرکین والموحدین ثم
استانف الجواب عن السوال بقوله الذین آمنوا ولم یلبسوا ایمانهم بظلم
ای لم یخلطوا ایمانهم بمعصیة تفسقهم وابی تفسیر الظلم بالکفر لفظ اللبس
ﻫ وتلک اشارة الی جمیع ما احتج به ابراهیم علی قومه من قوله فلما جن
علیه اللیل الی قوله وهم مهتدون ﻫ ومعنی آتیناها ارشدناه الیها
ووفقناه لها ﻫ نرفع درجات من نشاء یعنی فی العلم والحکمة وقری بالتنوین
ﻫ ومن ذریته الضمیر لنوح او لابرهیم وداود عطف علی نوحًا ای
وهدینا داود ﻫ ومن آبائهم فی موضع النصب علی کلا یعنی وفضلنا

بعض آبائهم ولو اشرکوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لکانوا
کغیرهم فی حبوط اعمالهم کما قال لئن اشرکت لیحبطن عملک ﻫ آتیناهم
الکتاب یرید الجنس فان یکفر بها بالکتاب والحکم والنبوة او بالنبوة هولاء
یعنی اهل مکة ﻫ قومًا هم الانبیاء المذکورون ومن تابعهم بدلیل قوله اولئک
الذین هدی الله فبهدیهم اقتده وبدلیل وصل قوله فان یکفر بها هولاء بما
قبله وقیل هم اصحاب النبی صلی الله علیه وسلم وکل من آمن به وقیل
کل مومن من بنی آدم وقیل الملائکة وادعی الانصار انها لهم وعن مجاهد هم
الفرس ومعنی توکیلهم بها انهم وفقوا للایمان بها والقیام بحقوقها کما یوکل
الرجل بالشیء لیقوم به ویتعهده ویحافظ علیه والباء فی بها صلة کافرین وفی
بکافرین تاکید النفی ﻫ فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد
الا بهم وهذا معنی تقدیم المفعول والمراد بهداهم طریقتهم فی الایمان بالله و
توحیده واصول الدین دون الشرائع فانها مختلفة وهی هدی ما لم
تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدًی بخلاف اصول الدین فانها هدی ابدًا
والهاء فی اقتده للوقف تسقط فی الدرج واستحسن ایثار الوقف لثبات
الهاء فی المصحف ﻫ وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته
فی الرحمة علی عباده واللطف بهم حین انکروا بعثة الرسل والوحی الیهم
وذلک من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناک الا رحمة للعالمین
او ما عرفوه حق معرفته فی سخطه علی الکافرین وشدة بطشه بهم
ولم یخافوه حین جسروا علی تلک المقالة العظیمة من انکار النبوة
والقائلون هم الیهود بدلیل قراءة من قرا تجعلونه بالتاء وکذلک تبدونها
وتخفون وانما قالوا ذلک مبالغة فی انکار انزال القرآن علی رسول الله
فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة علی موسی وادرج

بحث الالزام وتوبيخهم وان تُعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض
واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى يغيّروه
ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما
راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود
ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله وسلم انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر
السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب
ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقالت له قومه ويلك ما
هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب
بن اشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا
يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
الخطاب لليهود اى علمتم على لسان محمد مما اوحى اليه ما لم تعلموا انتم
وانتم حملة التورية ولم تعلمها اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان
هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل
الخطاب لمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ه قل الله اى
انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ه ثم ذرهم فى خوضهم فى باطلهم
الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ه ويقال لمن كان فى عمل
لا يجدى عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم
ويجوز ان يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم
ه مبارك كثير المنافع والفوائد ه ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة
الكتاب كانه قيل انزلنا للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار

وقرئ لينذر بالتاء والياء ه وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت
وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شأنا
ولبعض المجاورين ومن يلق فى بعض القريات رجل فام القرى شانها
تلق رجال ومنتابى ه والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة
ويخافونها ه يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة
فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن
حافظ عليها كانت لطفا له فى المحافظة على اخواتها ه افترى على الله كذبا
فزعم ان الله بعثه نبيا ه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء وهو
مسيلمة الحنفي الكذاب صنعاء او الاسود العنسي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النائم كان فى يدي سوارين من ذهب
فكبرا علي واهماني فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عني
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء
الاسود العنسي ه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن
سعد بن ابى سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان اذا املى
عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا
رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى
آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله
احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان
كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما
قبل فتح مكة وقيل هو هو والنضر بن الحارث والمستهزئون ه ولو
ترى جوابه محذوف اى لرايت امرا فظيعا ه اذ الظالمون يريد الذين

ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة
ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة ﻫ باسطوا ايديهم يبسطون اليهم
ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه
عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده
الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي
مالي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه
باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب ﻫ اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا
اي لا تقدرون على الخلاص ﻫ اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت
الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد
المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة ﻫ و
الهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء
يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه ﻫ عن اياته تستكبرون فلا
تؤمنون بها ﻫ فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء
لله ﻫ كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد ﻫ وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة ﻫ
وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم ﻫ فيكم
شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها
لله شركاء فيهم وفي استعبادهم ﻫ وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل
ثلاث وفردى مثل سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت

في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم ﻫ تقطع
بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على
اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد اسند الفعل
الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع
ما بينكم ﻫ فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد
الشقين اللذين في النواة والحنطة ﻫ يخرج الحي من الميت اي الحيوان
والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء
الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من
الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه
على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه
موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى
بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان
النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها
ﻫ ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى
تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره ﻫ الاصباح
مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد
قوله افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح
مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح
والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض
نهار
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي
الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد
فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره

وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق
وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح
وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح
وجعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به و
واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه
يستأنس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه المتعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا
فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث
فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر
حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل
محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي
ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما
هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق
الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر
عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس
والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الليل
الشمس والقمر حسبانا جعلهما علم حسبان لان حساب الاوقات
يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى
جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر
في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات

ت

الطرق بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله
او مصدرا ومن كسرها كان اسم الفاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى
فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض
ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت
لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت
كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف
وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة
وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء
والمسببات صنوف مفتنة كما تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا
اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات
الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه
كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر
محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان و
ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على
حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم
القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات
التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني
القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد
فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من

قال م

من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر
او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر ﻫ وقوله
وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب
اى مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة
من النخل قنوان وجنات من اعناب اى من نبات اعناب وقرئ
وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ اى واخرجنا به جنات من
اعناب ﻫ وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين ﻫ
مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا
وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير
متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك
كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير
متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال
ﻫ انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا
لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا
لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره
ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة
ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره ﻫ ان جعلت لله
شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا
كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة
التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او
جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن

بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى
اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا
ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار ﻫ وخلقهم
وخلق ايجا علين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن
ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من يخلق شركاء للخالق وقيل الضمير للجن
وقرئ وخلقهم اى اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حين نسبوا
قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ﻫ وخرقوا له وخلقوا له اى افتعلوا
له ﻫ بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش
في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل
الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب
كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من
خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا
بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس
وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق
الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطاء او صواب
ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية ﻫ بديع السموات من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اى بديع
شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر
اى ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى
المبتدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره
انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا
لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة

ل
الصنفين

ل
وخلقهم

اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان
يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس
واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة
والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان
غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء
وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف
بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات
كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه
ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من
الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي
ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات والمعنى ان الابصار لا تتعلق به
ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق
بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار
وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها
مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف
فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف قد جاءكم
بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر
كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على

ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه
ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم
بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم
وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست
قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى
هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى
قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا و
جاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان
يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها
محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد او دارسات على معنى
دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية فان قلت
اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان
الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين
ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف
الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما
قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه
قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف
القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي
هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ
درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع
الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع

الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي
حال مؤكدة كقولك وهو الحق مصدقا هو ولا تسبوا الالهة الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة
حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي
قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة
فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو
من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية
ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت قد
روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء
فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا
قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة
طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم
يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى
نبه عليه الحسن هو عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين
وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا
وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء هو بغير
علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به هو كذلك زينا لكل امة مثل
ذلك التزيين هو زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم او امهلنا
الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا

وزيناه لنا هو فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم هو جاءتهم آية من مقترحاتهم
هو ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا
على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها
وآتيكم بها هو وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي يقترحونها اذا
جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم
لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك
الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى
انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما
لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق
انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي
الديار كما بكى ابن خذام وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون
وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون
منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم
من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون
اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ
كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا
بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على يؤمنون داخل في حكم وما
يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع
على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول
آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم
في طغيانهم اي نخليهم وشانهم ولا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه
وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم

وابصارهم على البناء للمفعول ﻫ ولو اننا نزّلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا
لولا انزل علينا الملائكة وكلّمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا ﻫ قبلا كفلا بصحة ما
بشّرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قُبُلًا مقابلة وقرئ قِبَلا اى عيانا
الّا ان يشاء الله مشيّة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات
او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الآن يفتطرتهم فيطمعون
في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة ﻫ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اى كما
خلّينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم
لم نمنعهم من العداوة لما فيها من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات
والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب الشياطين على البدل من عدوا
او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض
يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض
وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشدّ
عليّ من شيطان الجن لاني اذا تعوّذت بالله ذهب الشيطان الجن
عني وشيطان الانس يجيئني فيجرّني الى المعاصي عيانا ﻫ زخرف القول ما
يزيّنه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموّهه غرورا اخذا
واخذا على غرّة ﻫ ولو شاء الله ما فعلوه ما فعلوا ذلك اى عادوك او ما
اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفّهم ولا يخلّيهم وشأنهم ولتصغى
جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام
لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه
الضمير في فعلوه اى ولتميل الى ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع من عداوة

من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين ﻫ افئدة الكفار وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام ﻫ افغير الله ابتغي حكما على ارادة
القول اى قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق
منا من المبطل وهو الذى انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبيّنا فيه
الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة
على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
له ﻫ فلا تكوننّ من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكوننّ من
المشركين او فلا تكوننّ من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق
ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكوننّ خطابا لكل احد
على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه
احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته ﻫ وتمّت كلمات ربك اى تمّ كل
ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد ﻫ صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته
لا احد يبدّل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على
الحال وقرئ كلمة ربك اى ما تكلّم به وقيل هي القرآن ﻫ وان تطع اكثر الناس
اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون الّا الظن وهو ظنهم ان آباءهم
كانوا على الحق فهم يقلّدونهم ﻫ وان هم الا يخرصون يقدّرون انهم على شيء او يكذبون
في ان الله حرّم كذا واحلّ كذا وقرئ من يضلّ بضم الياء اى يضله الله ﻫ فكلوا مسبّب
عن انكار اتباع المضلين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون
للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم
فقيل للمسلمين ان كنتم متحقّقين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة
دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه
هو المذكّى ببسم الله ﻫ وما لكم الّا تأكلوا واى غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصّل لكم

وقد بيّن لكم ما حرّم عليكم مما لم يحرّم وهو قوله حرّمت عليكم وقرئ فصّل لكم ما حرّم
عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عزّ وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرّم عليكم
فانه حلال لكم في حال الضرورة ﻫ وان كثيرا ليضلّون قرئ بفتح الياء وضمها اي
يضلّون فيحرّمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلّق بشريعة ﻫ ظاهر الاثم و
باطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنى في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السرّ ﻫ وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل
عليه حرف النهي بمعنى وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق
او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة
من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت
قد تاوّله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهلّ لغير الله
به ﻫ ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون
مما قتله الله وبهذا يرجح تاوّله بالميتة ﻫ انكم لمشركون لان من اتبع
غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل
مما يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان
كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل
الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق للنفس الذي يميز به بين المحق و
المبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس
مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط
في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار ﻫ زيّن للكافرين اي زيّنه الشيطان
او الله عزّ وجل على قوله زيّنا لهم اعمالهم ويدلّ عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية

في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكذلك ومعناه خلّيناهم ليمكروا وما كففناهم
عن المكر وخصّ الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله
امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم ﻫ وما
يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله وتعدية
موعد بالنصر عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا
لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل
قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا
منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي
كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
ﻫ والله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة
الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم ﻫ سيصيب
الذين اجرموا من اكابرها صغار وقمأة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد
في الدارين من الاسر والقتل وعذاب الله ﻫ فمن يرد الله ان
يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره
للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب
الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي
لا لطف له ﻫ يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه
وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا
بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر ﻫ
كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء
مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه القدرة وقرئ

يَصَّعَّدُ واصله يتصعد وقراء عبد الله يتصعد ويصّاعد واصله يتصاعد
ويصعد من صَعِد ويُصعد من اصعده يجعل الله الرجس يعنى الخذلان
ومنع التوفيق وصَفه بعض ما يوصَف به التوفيق من الطيب او
اراد الفعل المؤدى الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو
الاضطراب ﻫ وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة
وعادته فى التوفيق والخذلان ﻫ مستقيما عادلا مطردًا وانتصابه
على انه حال مؤكد كقوله وهو الحق مصدقا ﻫ لهم لقوم يذكرون ﻫ دار السلام
من كل آفة وكدرٍ عند ربهم فى ضمانه كما تقول لفلانٍ عندى حق لا ينسى او
ذخيره لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اُخفى لهم من قرة اعين ﻫ وهو
وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم ﻫ بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ﻫ ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اى
واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا
يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته ﻫ والضمير لمن يحشر من الثقلين
وغيرهم والجن هم الشياطين ﻫ قد استكثرتم من الانس اضللتم
منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول
استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ﻫ ربنا استمتع بعضنا ببعض
اى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب
التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوه وساعدوهم على مرادهم
وشهوتهم فى اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما فى قوله وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا
وخاف قال اعوذ برب الناس هذا الوادى يعنى به كبير الجن واستمتاع

الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجازتهم لهم ﻫ
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف
بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث
واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اى
تخلدون فى عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات
التى تنقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روى
انهم يُدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض
فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذى
ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان يُنفس عن
خناقه اهلكنى الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء
الا التشفى منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون
قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه فى صورة
الاستثناء الذى فيه اطماع ﻫ ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة
عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد ﻫ نولى بعض الظالمين
بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس
او نجعل اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا فى الدنيا ﻫ بما كانوا
يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى يقال لهم يوم القيمة على
جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف فى ان الجن هل بُعِث اليهم رسل
منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يُفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث
اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل
من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان فى الخطاب
صح ذلك وان كانوا من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل

اراد الرسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن
الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس ۞ قالوا شهدنا على
انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة
على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا
اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت
ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول
فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم
وجلودهم حين تختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم
على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون
والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم
قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب
عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك
اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة
وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك
القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء ربك مهلك
القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الاجوال ويجوز ان
تكون مخففة من الثقيلة بمعنى لان الشان والحديث لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم ۞ ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله و
قضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ۞ بظلم بسبب ظلم

على م

افسدوا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولا
كتاب لكان ظلما والله متعال عن الظلم وعن كل قبيح ۞ ولكل من
المكلفين ۞ درجات منازل ۞ مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل
عما يعملون بساه عنه تخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق
عليه من الاجر ۞ وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ۞
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان
يشأ يذهبكم ايها العصاة ۞ ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
المطيع ۞ كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا
على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ۞ المكانة تكون مصدرا
يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان
ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم
من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم
عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت
على ما انت عليه لا تنحرف عنه ۞ اني عامل اي عامل على مكانتي التي
انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام
وعلى مصابرتكم ۞ فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة و
طريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي للتخلية و
التسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به
وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه
فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى
اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي
وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار

اثبتوا
س

لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب
حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر
مبطل ﻫ كانوا يعينون اشيا من حرث ونتاج لله واشياء منها لالهتهم
فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للالهة
واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك
لحبهم الهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرا فيه ان الله كان اولى بان يجعل
له الزاكي لانه هو الذي ذراه وذكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية
ﻫ بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا
شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين
اصنامهم في القربة ﻫ فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا
يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ﻫ فهو
يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء
على سدنتها ونحو ذلك ﻫ ساء ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله و
عملهم على ما لم يشرع لهم ﻫ وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين
الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ
الذي علم من الشياطين ﻫ والمعنى ان شركاهم من الشياطين او من
سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للالهة وكان
الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف
عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب
قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من
زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم

الشرك

برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى
الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات
وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزادة
فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القران المعجز بحسن
نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم
مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم
في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ﻫ ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء ﻫ وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه و
دينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك
وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم
في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين
من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان من السدنة فعلى معنى
الصيرورة ﻫ ولو شاء الله مشيته قسرا ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين
لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء
او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة ﻫ
وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم ﻫ حجر فعل بمعنى مفعول
كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرا الحسن وقتادة حجر بضم الحاء
وعن ابن عباس حرج وهو من التضيق وكانوا اذا عينوا اشياء من
حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب
والحوامي ﻫ وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها

يكونوا

اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم
قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه
انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التخييس
الى الله افتراء عليه اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه
مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء ه هم
كانوا يقولون فى اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص
للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
ه وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكر محرم للحمل
على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز
ان تكون التاء للمبالغة مثلها فى رواية الشعر وان تكون مصدرا
وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصه ويدل عليه قراءة من قراء
خالصه بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد
ولا يجوز ان تكون حالا متقدمه لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقراء
ابن عباس خالصه على الاضافه وفى مصحف عبد الله خالص ه وان
تكن ميته بالتانيث والرفع على كان التامه وتذكير الضمير فى قوله فهم فيه
شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم
فيه شركاء ه سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل
والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام ه
نزلت فى ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى
والفقر ه سفها لغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم
لا هم وقرى قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها
ه انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات

متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما فى الارياف و
العمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه ه وغير معروشات
مما انبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فهو غير معروش يقال عرشت
الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت
عرشه ه مختلفا اكله فى اللون والطعم والحجم والرائحه وقرى اكله بالضم
والسكون وهو ثمره الذى يوكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه
لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدره لانه لم يكن وقت الانشاء
كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرى ثمره بضمتين فان قلت
ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت لما
ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان وقت الاباحة وقت اطلاع
الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع ه وانوا حقه
يوم حصاده الآيه مكيه والزكوة انما فرضت بالمدينه فاريد بالحق
ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا
حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنيه والحق هو
الزكاة المفروضه ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا
به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسر
فى الصدقه كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمس مائه نخله ففرق
ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا ه حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشا من الانعام ما يحمل
الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش و
قيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان و
العجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش

اول م

فوا

المفروش عليها ﻫ ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من
عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ﻫ ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة
والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا
كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق
الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من
الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو
تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة
كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضان وماعز كتاجر
وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء
ﻫ الهمزة في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر
من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق
الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها
شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران
من جنسي الابل والبقر والانثيان منها وما تحمل اناثها وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا
او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم
ﻫ نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ﻫ
ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ﻫ ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى
الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة
على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم
هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية

به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل ﻫ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي
بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض
المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا
غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء
الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج
على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق
الا للتوكيد ﻫ فيما اوحي الى تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله
وشرعه لا بهوى الانفس ﻫ محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها
ﻫ الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة ﻫ او دما مسفوحا
اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في
دم العروق بعد الذبح ﻫ او فسقا عطف على المنصوب قبله ﻫ سمي ما اهل
به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما
لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان
يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت
فعلام يعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت
يعطف على ان يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون ﻫ
فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على
مضطر مثله تارك لمواساته ﻫ ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله
ﻫ فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ﻫ ذي ظفر ما له اصبع من دابة
او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك
عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا

حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة
والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك
البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب
وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على
الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء
او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو
بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ه ذلك الجزاء جزيناهم
وهو تحريم الطيبات ه ببغيهم بسبب ظلمهم ه وانا لصادقون فيما
اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة
فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب ه
فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يواخذ
بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما ه فقل لهم ربكم ذو رحمة
واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم
المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته ه سيقول
الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون
بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة
الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه
ه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله
عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه
وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق

وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب
التكذيب كله وهو تكذيب الله كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله
ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره ه حتى ذاقوا بأسنا حتى انزلنا
عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل
قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا ه
وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون
ه وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف ه قل فلله الحجة
البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله
فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهديكم اجمعين
منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي
ان تعلقوا دين من خالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم
وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم
عليه ه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث عند الحجازيين
وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت
كيف امرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم
ما زعموه محرما ثم امرهم بان لا يشهد معهم قلت امرهم باستحضارهم
وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع
الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم
في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني
فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد
معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ه ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا

من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله
وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا
بالآيات موحدا لله فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون
ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا
شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود
لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به
فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين
للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء
يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان
الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله
فان شهدوا فلا تشهد معهم ه تعال من الخاص الذي صار عاما
واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع
فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه
ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان
في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي
تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت
وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل
نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا
لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم
فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا

قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما

ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى
اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما
علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة
بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه
مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق
بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك
وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت
لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم
واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها
وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في
القول ونكث عهد الله ه من املاق من اجل فقر ومن خشيته
كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه
الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ه الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره و
والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية
والعدل ه لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما
اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط
الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع
وان ما وراءه معفو عنه ه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول
له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد
في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ

وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير
الشأن والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله
وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ﻫ ولا تتبعوا
السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا ﻫ عن
عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق
بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن
عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع
الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه
الآيات لاول شيء في التورية فان قلت علام عطف قوله
ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف
صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه
التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا
الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من
قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب ﻫ تماما على الذي احسن تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين

ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام
اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي
كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن
الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن
يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة
من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين
وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون
عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى
قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ﻫ ان تقولوا كراهة ان تقولوا
على طائفتين يريدون اهل التورية واهل الانجيل ﻫ وان كنا هي
ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن ﻫ
عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم ﻫ لكنا اهدى منهم
لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون و
وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء ﻫ فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت
لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه
من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد
جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف ﻫ
فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها
او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل ﻫ
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا

وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق عذاب ه الملائكة ملائكة الموت
او العذاب ه او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي
بعض آيات ربك يريد آيات القيمة والهلاك الكلي ه وبعض الآيات
اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء ابن
عازب كنا نتذاكر الساعة اذا اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى
تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس
من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن
ه لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي
آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها لم ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة
ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم تفرق كما ترى بين النفس الكافرة
اذا آمنت من غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها
ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز
صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك ه قل انتظروا انا منتظرون
وعيد وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء
لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت
بعض اصابعه ه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلف اليهود والنصارى
وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية

130

الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا
ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه ه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة
تشيع اماما لها ه لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم
وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف ه عشر امثالها
على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل
ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا
بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل
ه وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم ه دينا نصب
على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله
ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو
ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة
ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم ه ان صلاتي ونسكي عبادتي
وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل
لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ه ومحياي ومماتي
وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح ه لله
رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت ه وانا
اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته ه اغير
الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي
منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في
الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تأمروني اعبد ه

دني

ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ﻫ جعلهم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين فخلفت امته سائر الامم وجعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم
خلفاء الله فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ﻫ ورفع بعضكم فوق بعض
فى الشرف والرزق ﻫ ليبلوكم فيما آتيكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون
تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى
بالفقير ﻫ ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم
لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له
اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية
من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية

غير ثمان آيات وسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا

وهى مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب
خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد
بالكتاب السورة ﻫ فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك منه كقوله
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق
الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اى لا تشك فى انه
منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم

عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله
ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت
بانزل اى انزل اليك لانذارك به او بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم
وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان
صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان
قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب
باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم
بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف
والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى فان قلت
النهى فى قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من
قولهم لا ارينك هاهنا ﻫ اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة
ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اى ولا تتولوا من دونه
من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء
والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن
الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت
آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرا مالك بن
دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز
ان يكون الضمير فى دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله
دين اولياء ﻫ قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وقرى تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب
بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ﻫ فجاءها
فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا

حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه
قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف
الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت
انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك
اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان
قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون
قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال
لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس
لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا
عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل
فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حلة
واما جاءني زيد ~~راجلا او~~ هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى
قوله اهلكناها فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس
قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما
خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة
لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد
وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت
القيلولة هـ فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من
مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما
كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث
من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم

حده

الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعائهم فلا
يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب
خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل
اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن
المرسل اليهم وهم الامم نسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به
كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على
الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم هـ بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة
والباطنة واقوالهم وافعالهم هـ وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم
فان قلت اذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى
سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به
بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم هـ والوزن يومئذ الحق يعني
وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء
وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم
ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية
الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر
اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما
يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم
وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما
تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة
عن القضاء السوي والحكم العادل هـ فمن ثقلت موازينه جمع ميزان
او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي

الحسنات اوما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع
فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف
﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يكذبون بها ظلما كقوله ﴿فظلموا بها﴾ ﴿ولقد مكناكم في الارض﴾
جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها ﴿وجعلنا لكم
فيها معايش﴾ جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح اليا وعن ابن عامر انه همز على التشبيه
بصحائف ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير
مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم﴾ ﴿من الساجدين﴾ ممن سجد لآدم ﴿ألا﴾ في ان لا تسجد صلة بدليل قوله
﴿ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي﴾ ومثلها ﴿لئلا يعلم اهل الكتاب﴾ بمعنى
ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي
يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك
ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه
عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن
المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته
وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل آدم وانه خالف امر ربه
معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج
من الصواب فان قلت كيف يكون قوله ﴿انا خير منه﴾ جوابا
لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة
اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعله فضله عليه وهو ان اصله
من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار
الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان

على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به ﴿فاهبط منها﴾
من السماء التي هي مقام المطيعين المتواضعين من الملائكة الى
الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين ﴿فما يكون
لك﴾ فما يصح لك ﴿ان تتكبر فيها﴾ وتعصي ﴿فاخرج انك من الصاغرين﴾
من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول
للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر
الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله
حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله
الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر
ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي
مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف
الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من
الشهوات ليمتحن بها عباده ﴿فبما اغويتني﴾ فبسبب اغوائك
اياي ﴿لاقعدن لهم﴾ وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت
كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب
وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى
فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا
بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان
تعلقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن
قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني
اقسم بالله لاقعدن اي بسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء
للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان

تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد
الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن
طاووس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى
بالقدر فجلس اليه فقال له طاووس تقوم او تقام فقام الرجل
فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب
بما اغويتني وهذا يقول انا اغوى نفسي وما ظنك بقوم بلغ من
تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على
الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باى
شئ اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف
الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغى الفساد ومنه
غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد هو لاقعدن لهم صراطك
المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو
على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن اى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق
الاسلام فقال له تدع دين اباءك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق
الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه
فقاتل هو ثم لآتينهم من الجهات الاربع التى ياتى منها العدو فى الغالب
وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك

فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن
ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدى اليه
الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك
اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة
موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن
شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى
عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه
غير ملاصق به ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره كما ذكرنا فى
تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن
القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها
للرمى ويبتدئ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه
بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل
فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن
شقيق ما من صباح الا قعد لى الشيطان على اربعة مراصد
من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى اما من بين يدى فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا واما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واما من قبل يمينى فياتينى
من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالى فياتينى
من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد
اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم هو مذ آدم من ذاته اذا

[متجافيا]

ذمه وقرا الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤول ه واللام
فى لمن تبعك موطية للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب
الشرط ه منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم
قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن
تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين
على ان لاملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره ه ويا آدم اى وقلنا
يا آدم ه وقرئ هذى الشجرة والاصل اليا والها بدل منها ه ويقال
وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس اذا تكلم كلاما الحلى
وهو فعل غير متعد كولولة المراة ووعوعة الذيب ورجل موسوس
بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه
وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة
لاجله ووسوس اليه القاها اليه ه ليبدى جعل ذلك غرضا
له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه
دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا
فى الطباع مستقبحا فى العقول فان قلت ما للواو المضمومة
فى ووري لم تقلب همزة كما فى اويصل قلت لان الثانية مدة
كالف وارى وقد جاء فى قراءة عبد الله اورى بالقلب الا ان تكونا
ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر
الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام
لقوله وملك لا يبلى ه من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون
فى الجنة ساكنين ه وقرئ من سوءتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو
المشددة ه وقاسمهما واقسم لهما ه انى لكما لمن الناصحين قال قلت

المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا
حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه
قلت كانه قال لهما اقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له
اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم
او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على
زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم ه فدليهما فنزلهما
الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة
وانما يخدع المومن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة
وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق
فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له ه
فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وقيل الشجرة
هى السنبلة وقيل شجرة الكرم ه بدت لهما سوآتهما اى تهافت
عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الآخر ه وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه
ولا رأى منى ه وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار
وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق
يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستتر بها كما تخصف النعل
بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان
بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهرى
يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان
انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد ه من ورق الجنة

قيل كان ورق التين ﴿ الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه
على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى
انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه
الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث
وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز ﴿ وسمياه ذنبهما
وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين
على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير
من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات ﴿
اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس ﴿ بعضكم لبعض عدو
في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه ﴿ مستقر
استقرار او موضع استقرار ﴿ ومتاع وانتفاع بعيش الى حين
الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته
الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها
خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته
الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب
وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا
لبنيه هذه سنتكم بعده ﴿ جعل ما في الارض منزلا من السماء
لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
﴿ والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه
وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا

ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها
جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ﴿
ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء
وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير
لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي
هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة
الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضلا له على
لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لباس التقوى
ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل
المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها
مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
وريشا ﴿ ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال
اللباس ﴿ لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على
سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها
اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة
والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى ﴿ لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها
﴿ ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا
في ان نزع عنهما ﴿ انه يريكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة
العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا يشعرون وعن مالك بن دينار
ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله ﴿ وقبيله وجنوده

من الشياطين وفيه دليل بيّن انّ الجنّ لا يُرون ولا يظهرون للانس
وانّ اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وانّ زعم من يدّعي رؤيتهم
زور ومخرقة انّا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي
خلّينا بينهم وبينهم لم نكفّهم عنهم حتّى تولّوهم واطاعوهم فيما سوّلوا لهم
من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاوّل فان قلت
علام عُطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكّد بهو والضمير في
انّه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيديّ وقبيلَه بالنصب وفيه وجهان
ان يعطف على اسم انّ وان يكون الواو بمعنى مع واذا عُطف على اسم
انّ وهو الضمير في انّه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ في
قبحه من الذنوب اي اذا فعلوا اعتذروا بانّ آباءهم كانوا يفعلونها
فاقتدوا بهم وبانّ الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لانّ احدهما
تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته
كانوا يقولون لو كره الله منّا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن انّ الله بعث
محمّدا صلّى الله عليه الى العرب وهم قدريّة مجبرة يحملون ذنوبهم على الله
وتصديقه قول الله عزّ وجلّ واذا فعلوا فاحشة قل انّ الله لا يأمر
بالفحشاء لانّ فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف
فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح
اليه وشهادة على انّ مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة
طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انّه مستقيم
حسن عند كلّ مميّز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم
اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند
كلّ مسجد في وقت كلّ سجود او في كلّ مكان سجود وهو الصلاة وادعوه

واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا
كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتجّ عليهم في انكارهم الاعادة
بابتداء الخلق والمعنى انّه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة
فريقا هدى وهو الذين اسلموا اي وفّقهم للايمان وفريقا حقّ عليهم
الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انّهم يضلّون ولا يهتدون وانتصاب
قوله وفريقا بفعل يفسّره ما بعده كانّه قيل وخذل فريقا حقّ عليهم
الضلالة انّهم انّ الفريق الذين حقّ عليهم الضلالة اتّخذوا الشياطين
اولياء اي تولّوهم بالطاعة فيما امروهم به الضالّون باختيارهم وتولّيهم
دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كلّ مسجد كلّما
صلّيتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاووس لم يأمرهم بالحرير
والديباج وانّما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد
وان طاف وهي عليه ضُرب وانتُزعت منه لانّهم قالوا لا نعبد الله
في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعرّوا من الذنوب كما تعرّوا من
الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنّة ان يأخذ الرجل
احسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في ايّام حجّهم لا يأكلون الطعام
الّا قوتا ولا يأكلون دسما يعظّمون بذلك حجّهم فقال المسلمون فانّا احقّ
ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عبّاس كُلْ
ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
ويُحكى انّ الرشيد كان له طبيب نصرانيّ حاذق فقال لعليّ بن الحسين
واقد ليس في كتابكم من علم الطبّ شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان فقال له قد جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية من كتابه
فقال ما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانيّ ولا يؤثر

من رسولكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم
الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية
راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا ه زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به ه
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب
والمعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا
احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها ه قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم
فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل
هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين
آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب الله وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع
على انها خبر بعد خبر ه الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد
وقيل هي ما يتعلق بالفروج ه والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب
ه والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
ه ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك
به غيره ه وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب
من التحريم وغيره ه ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل
في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة
لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في
ساعة يريد اقصر وقت واقربه ه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت
اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة ه

فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من
الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ
تأتينكم بالتاء ه فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله
او كذب ما قاله ه اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب
لهم من الارزاق والاعمار ه حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم
نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ
بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا
قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه
وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها
موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ه ضلوا عنا غابوا عنا فلا
نراهم ولا ننتفع بهم اعتذارا فانهم لم يكونوا على شئ فيما كانوا عليه وانهم
لم يجدوه في العاقبة ه قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك
الذين قال فيهم ه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم
كفار العرب ه في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين
لهم اي ادخلوا في النار مع امم ه قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم
ه لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم
وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع
الله لا معهم ه عذابا ضعفا مضاعفا ه لكل ضعف لان كلا من
القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء
والياء ه فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله
عز وجل للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا

متساوون فى استحقاق الضعف ﻫ فذوقوا العذاب من قول القادة
او من قول الله لهم جميعًا ﻫ لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل
صالح اليه يصعد الكلم الطيب والعمل كلا ان كتاب الابرار لفى
عليين وقيل ان الجنة فى السماء فالمعنى لا يؤذن لهم فى صعود السماء
ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا
كما تصعد ارواح المومنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا
ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء
والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على
ان الفعل لله عز وجل ﻫ وقرا ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن
جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن الحبل
ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة
وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعنى
ان الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه
الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال
اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه
فى المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم قال
جسم الجمال واحلام العصافير ه ان الرجال ليسوا بجزر يراد منهم
الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدًا من ولوج
هذا الحيوان الذى لا يلج الا فى باب واسع فى ثقب الابرة وعن ابن
مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالًا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ فى سم بالحركات الثلاث وقرا
عبد الله فى سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو

الابرة ﻫ وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين ليؤذن ان
الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب
وقد كرره فقال وكذلك نجزى الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه
ﻫ مهاد فراش ﻫ غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار
المنشات فى قراءة عبد الله ﻫ لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة
بين المبتدا والخبر للترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصف الوا صف
من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسع وهو الامكان الواسع غير
غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس ﻫ
من كان فى قلبه غل على اخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت
ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ﻫ هدانا لهذا اى وفقنا لموجب
هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح ﻫ وما كنا لنهتدى
اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا
هداية الله وتوفيقه وفى مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدى بغير
واو على انها جملة موضحة للاولى ﻫ لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان
لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا
بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدًا كما ترى من رزق خيرا فى
الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ﻫ ان تلكم
الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها
والضمير ضمير الشان والحديث وتكون بمعنى اى لان المناداة
من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب
اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ﻫ ان قد وجدنا تحتمل ان

تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك
ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك
قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي
بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او
على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم
كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه
ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب
والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين
بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب
لهم فاطلق لذلك ه وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين
وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور ه وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي
اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك ه رجال
من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون
لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة
ه يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء ه بسيماهم بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او يعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب
الجنة نادوهم بالتسليم عليهم ه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين

اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء
يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون
ان الله لا يدخلهم الجنة ه ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم
بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال
وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا
بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في
حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد
يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر
فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة
يوبخهم كل احد حتى اخس الناس عملا وقوله اذا صرفت ابصارهم فيه
ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش
واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا
عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين
قوله لا خوف عليكم وانتم تحزنون ه قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله
لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا
سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني
حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم
محبوسين ه وهم يطمعون يعني لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع
صفة لرجال ه ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ه افيضوا

علينا فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة
لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من
الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك
مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن ه حرمهما
على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه
ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى ه فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل
الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء
يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به
ه فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه
وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه
بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل
عليها ه وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من
مرفوعه ه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد ه قد جاءت رسل ربنا
بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق ه نرد جملة معطوفة على الجملة التي
قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل
نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد
ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد
وقرا ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون
او بمعنى حتى ان اي حتى نرد يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرا الحسن
بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل ه يغشي الليل النهار
وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما

جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار
بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه
حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد ه بامره بمشيئته وتصريفه وهو
متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره
وكما يريد ان يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات
بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر
انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر هو الذي خلق
الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته ه تضرعا وخفية نصب
على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل
من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن
رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل
لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه
الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده
الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل
يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى
على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية
سبعون ضعفا ه انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به
في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء
وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء
وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب

المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه
انه لا يحب المعتدين ه ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله انى لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او
الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اى شىء قريب او على تشبيهه
بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه
بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة
غير حقيقى ه وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل
ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات
ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق
نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم
ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر
من بشره بمعنى بشره اى باشرات وبشرى ه بين يدى رحمته امام
نعمته وهى الغيث الذى هو من اجل النعم واحسنها اثرا ه اقلت حملت
ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما
يرفعه قليلا ه سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة ه سقناه
الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل
الوصف لقيل ثقيلا ه لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ
ميت ه فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به ه كذلك
مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى ه لعلكم تذكرون فيؤديكم
التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشىء بعد
انشائه ه والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة ه باذن ربه
والذى خبث الارض السبخة التى لا تنبت ما ينتفع به ه باذن ربه بتيسيره

وهو فى موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة
نكدا والنكد الذى لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اى يخرجه البلد وينبته
وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات واقيم المضاف اليه
الذى هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا
مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث وقرئ نكدا
بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله
نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه
من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شىء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته
منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه
وانتفع به كالارض الطيب اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف
ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج
الثمرات به على طريق الاستطراد ه كذلك مثل ذلك التصريف ه
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم
المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها ه وقرئ يصرف بالياء اى
يصرفها الله ه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت
ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا ملـــــ انما كان ذلك لان
الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة
القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن
لمك بن متوشلح بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبى صلى الله عليه ه

وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في
الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد
قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية
بيان للداعي الى عبادة لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه
من دون الله ٭ واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو
الطوفان ٭ الملا الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء ٭ في
ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب
فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة
اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي
شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف
وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه
رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم
فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ أُبْلِغُكم
بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله أُبلّغكم قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني
ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول
لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن
ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره ٭
رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة
من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز
ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي

ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة ٭ وانصح لكم يقال نصحته
ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت
خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح
فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله
٭ واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة
وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل
لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه
نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد
اوحي الي بها ٭ او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف كأنه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة
من ربكم ٭ على رجل من ربكم منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا
يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة ٭ لينذركم ولتتقوا
لينذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
٭ ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه
قيل كانوا اربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق
بمعه كأنه قيل معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل
الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان ٭ عمين عمي القلوب
غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان
العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق
به صدرك ٭ اخاهم واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في

صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح
واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف
العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت
هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا
الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون
الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم
مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف
ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم
لا غير ه في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك
الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن
فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى
الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء
وترك المقابلة لما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم
ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف
يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون
منهم ه ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم
او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه ه خلفاء
من بعد قوم نوح اي خلفتموهم ه في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد
استخلفكم فيها بعدهم ه في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في
الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة
ذراع ه فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه

من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني وآناء وضلع واضلاع وعنب
واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه
قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم ه
اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده
بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا
عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في
قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلم مكان معتزل
عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله وسلم بحراء
قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به
الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم
قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن
التعرض لذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة
الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف
ذلك ه فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب ه قد وقع عليكم اي
حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله
بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك
وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي
فقال له يا بني مالك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه
الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ه والرجس العذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب ه في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها
مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده
وهذا كقوله ما يدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من

اى نتعبد

قولك سميته زيدًا هو وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم
وقصتهم ان عادًا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله
اليهم هودًا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبًا فكذبوه وازدادوا
عتوًّا وتجبرًا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا
وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته
الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن
لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة
من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد
الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو
بظاهر مكة خارجًا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا
لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك
وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان
يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعرًا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي ارض عادٍ
ان عادًا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم
يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليه فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية
احبس عنا مرثدًا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك

ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادًا ما كنت تسقيهم فانشأ
الله سحابات ثلثًا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت على عادٍ من وادٍ لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا
هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان
قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات
التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن
ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص
المكذبين ونجى الله المؤمنين هـ قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل
القبيلة والى ثمودٍ بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه
اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح اخو
ادريس وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى هـ قد جاءتكم
بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه
البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها
ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم
بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها
وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصًا
وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من
عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي

ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم
فى حيوته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش
فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله
اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى
يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا الهك وندعوا الهتنا فان
استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم
فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل
يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء
وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليه السلم عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك
لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء
وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظما وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فامن به جندع ورهط من قومه
ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع
ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان
يومها وضعت راسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء
فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلى اوانيهم فيشربون و

يدخرون قال ابو موسى الاشعرى اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت
بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت
بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من
مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق سقبها حتى جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجو هكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا هو تاكل فى ارض الله اى الارض ارض الله والناقة
ناقة الله فذروها فذروها تاكل فى ارض ربها فليست الارض لكم
ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا
تطردوها ولا تريبوها بشئ من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه
لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال صلى
الله عليه وسلم يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم
قال قاتل ... وقرا صالح ابو جعفر فى رواية تاكل فى ارض الله وهو فى موضع

الحال بمعنى آكلة ه وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل ه في الارض الحجر بين الحجاز
والشام ه من سهولها قصورًا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها
من الدهص واللبن والآجر وقرا الحسن ناقة وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون
باشباع الفتحة كقوله ينباع من يصف ذفرى اسيل حرة فان قلت
علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا
وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا
في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصًا وقلما في حال الخياطة والبري
وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء ه للذين
استضعفوا للذين استضعفوهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن
منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم
راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت
الضمير في منهم راجع الى ما هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف
المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل
من آمن مفسرًا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان
مقصورًا على المومنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف
مقصورًا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين ه
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز
والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان
قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت
سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرًا معلومًا مكشوفا مسلما
لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه
ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان

به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم
به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردًا لما جعله المومنون
معلومًا واخذوه مسلما ه فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه
كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة
انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم ه وعتوا عن امر ربهم وتولوا
عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين ه وامر ربهم ما امر به على لسان صالح
عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شأن ربهم وهو
دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم
بتركها كان هو السبب في عتوهم ويحو عن هذه ما في قوله وما فعلته
عن امري ه ايتنا بما تعدنا اراد وامن العذاب وانما جاز الاطلاق لانه
كان معلومًا واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون
وهو كونه من المرسلين ه الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض
واضطربوا لها ه في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا
يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة
ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها
لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال
لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق
منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال
فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه
الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا
قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ها هنا ودفن
معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا

الغصص ه فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه
تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم
يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعى ولم آل جهدا فى ابلاغكم
والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولى
ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب
وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب يوم السبت
وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فراى
الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه
رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى
وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه
وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه فى التهلكة
يا اخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى وقوله ه ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية ه ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف
لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه
اناتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية فى القبح ما سبقكم
بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها
قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة ه من احد من العالمين
من الاولى زائدة لتوكيد النفى وافادة معنى الاستغراق والثانية
للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هى جملة
مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اناتون الفاحشة ثم وبخهم عليها
فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا
ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ه انكم لتاتون

الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها فى اتاتون للانكار
والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف ه لتاتون الرجال من اتى المراة
اذا غشيها شهوة مفعول له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد
الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية
وانه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال
بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة ه بل انتم
قوم مسرفون ه اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب
ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ فمن ثم اسرفوا فى باب قضاء
الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون
ه وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعنى ما اجابوه بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها
ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشئ آخر
لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين
من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم ه وقولهم انهم اناس
يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا
فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا
وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد ه
واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين ه من الغابرين
من الذين غبروا فى ديارهم اى بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت
فاصابها حجر فماتت وقيل كانت الموتفكة خمس مداين وقيل كانوا

اربعة آلاف من الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له
الحجر اربعين يوما حتى قضا حاجته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت
اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور
وفي نوابغ الكلم جري غير ممطور جري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم
اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت
عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من
السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين
ه كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا
اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة
لصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امرتكم به والانتهاء
عما نهيتكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت
قد وقع العلم بانه كانت له معجزة بقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه
لا بد لمدعي النبوة من المعجزة تشهد له وتصدقه والا لم يصح دعواه
وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات
نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى
التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حيث وعده
ان تكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع
وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى
فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان

[ai margin: اي ممطور]

وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة
الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به
او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر
ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم
تحسبها حمقاء وهي باخس ه وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون
الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم اخذوها بنقصان
ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا
فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين
بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم
في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ه ذلكم اشارة
الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في
الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ه ومعنى خير لكم يعني في
الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والتربح
لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية
ه ان كنتم مؤمنين ان مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ه ولا تقعدوا
بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان
المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ه ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين
عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان

[margin: ب]

[margin: عدون]

مذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة وكانوا اذا رأوا احدا يشرع
في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في
آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون
عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل موضع الضمير زيادة في تقبيح
امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق
والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم
كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين
ه وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس
بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول
فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق
لا يعوج ه واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا
على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم ه
قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله
في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء
فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد
والعدد ه عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم
نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة
ه فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين
بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد
للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصوا انا معكم

متربصون او هو عظة للمومنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم و
يجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المومنون على اذى الكفار
وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله
فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق و
عدل لا يخاف فيه الحيف اى ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا
عليه السلم بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف
اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا
ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه
تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا
في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد
فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك
اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم
وان كان بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت
فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى
متعال ان يشاء ردة المومنين وعودهم في الكفر قلت معناه
الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع
فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه
قوله وسع ربنا كل شيء علما اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو

يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو
بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله
توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان
قصد الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشية الله
لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة
للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال
كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح
ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح
ما بيننا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل
وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان
فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما
ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا
على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من
الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا
ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين
له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما
على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال
الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن
الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة
بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما

ويحكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي
وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا
لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرون وفي هذا الابتداء
معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يغنوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين
اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف
والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم
وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم
فكيف آسى الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى
اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني
على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم
ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير
مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه
لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى
بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر
والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة
الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات

وعفى الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة
بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها
باسوق عافيات الشحم كوم ﻫ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
يعني وابطرتهم النعمة واشروا قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في
الناس من الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء
من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان
يأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ واقطعه وهو اخذهم
فجأة من غير شعور منهم ﻫ اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل
عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو ان اهل تلك القرى
الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها
ﻫ لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه
وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز
ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات
عليهم قلت تيسيرها عليهم كما ييسر امر الابواب المستغلقة
بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة
فيسرتها عليه بالتلقين ﻫ البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات
بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم
بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى
تبييتا كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال
اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا
اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افأمن واوأمن حرفا عطف

فاعطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت
الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة
وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف
عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد
ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى
وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم
كأنهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افأمنوا مكر الله
قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد
من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله
كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم
ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان
اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا ﻫ اذا قرئ اولم يهد
بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون
من خلا قبلهم في ديارهم ويورثونهم ارضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا
الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل اولم يهد الله
للوارثين هذا الشأن بمعنى اولم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان
قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون
معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا
كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد

عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم
من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن
هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها
كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتداء وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة
لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت
ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن
بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل
الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها
قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بالبينات
بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء
الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم
مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان
كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي ما وجدنا
لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى
وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن
الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم
كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم
نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن

لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا
ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليهما ه من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر
لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين
اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان
بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي
كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان ه يقال لملوك مصر
الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ه حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة
نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي
قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون مما
يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة
نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان
هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص
كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل
في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق
في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني
رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب
على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به ه

يُغرِق

فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة
التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت
الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى
وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى
اربع مائة عام فان قلت كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت
جئت بآية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك
بآية فأتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك هي ثعبان
مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في
الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه
فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث قبل ذلك وهرب
الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة و
عشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا
فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا
هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب
وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها
جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا
غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة
ه ان هذا الساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس
بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض فان قلت

قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملاء وعزي
هاهنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم
هاهنا او قاله ابتداء فتلقفته منه الملاء فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه
للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم
به من يليه من الخاصة ثم يبلغونه العامة والدليل عليه انهم
اجابوه في قولهم ارجئه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك
بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة
او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط ه وقولهم فماذا تامرون
من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا
تامرون من كلام فرعون قاله للملاء لما قالوا له ان هذا الساحر عليم
يريد ان يخرجكم كانه قيل قال فماذا تامرون قالوا ارجئه واخاه والمعنى
ارجئه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر
امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة وارجه من ارجاه وارجاه
فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على
تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله قالوا ائن لنا
لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر
العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت
وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف
سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم
ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده
وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب

انما يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا قال معه الكرامة والرفعة
ويروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروى انه
دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا
سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه
لا طاقة لنا به وروى انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل
بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فيمن يقل ومن يكثر وقيل
كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا يغالب
موسى الا بما هو منه يعني السحر ه تخييرهم اياه ادب حسن راعوه
معه كما يفعله اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان
يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع وقولهم
واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا
قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف
الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء
لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي
وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا ه سحروا اعين الناس اروها
بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم
بسحر عظيم في باب السحر روى انهم لووا حبالا لهم وخشبهم وجعلوا
فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ه ما يافكون ما موصولة
او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه

او افكهم تسمية للمأفوك بالافك ه روى انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب
والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك
الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا ه فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير
فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم قاس وقع ه وانقلبوا صاغرين وصاروا
اذلاء مبهوتين ه والقى السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم
وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا ه عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي اخره شهداء بررة ه وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشاء
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهولاء كفار نشئوا في الكفر بذلوا
انفسهم لله ه آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا
لهم وتقريعا ه وقرئ ءآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد
ه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على
ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا
الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروى
ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه
سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال ه فسوف
تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن
بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل
ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون ه انا الى ربنا منقلبون
فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته
وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا

على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب
الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا
الا ما لا بد لنا منه ه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان
بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر
كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا
صبرا اهب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا
كما يفرغ الماء افراغا ه وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا
ثم يقول قد مازحتك اى يغمره بالحياء والخجل ه او صب علينا ما
يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم
علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم ه وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام ه ويذرك عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم
يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه
تركهم لذلك او هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار
ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك
وآلهتك عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اى اتطلق له ذلك
او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ
الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين
كانه قيل اصدق وقرأ انس رضى الله عنه ونذرك بالنون والنصب اى
يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اى عبادتك
وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستماية
الف نفس فارادوا بالفساد فى الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك

وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد
عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال
انا ربكم الاعلى ه سنقتل ابناءهم يعنى سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من
قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون
تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها فى ملكنا واستيلائنا
ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذى تحدث المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه
وانه منتظر بعد ه قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك
حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم
ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بنى اسرائيل من اهلاك القبط
وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت على التى قبلها قلت هى جملة مبتداة مستانفة
واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من
قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد
ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول
ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه
فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا ه والعاقبة
للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط و
ان المشية متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابى
وابن مسعود عطفا على الارض ه اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد
ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته
عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع

ك عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون

الجذام والمهن ويمتنون به من العذاب ه عسى ربكم ان يهلك عدوكم
تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه واهلاك فرعون
واستخلافهم بعده فى ارض مصر ه فلينظر كيف تعملون فيرى الكاين منكم
من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على
حسب مايوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله عليه ورضوانه انه
دخل على المنصور قبل الخلافه وعلى مايدته رغيف او رغيفان فطلب
زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف
فذكرله ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون ه بالسنين بسنى القحط
والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها
فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت
لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم وعن
كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة ه لعلهم يذكرون
فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان
الناس فى حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افيدة
وقيل عاش فرعون اربع مائة سنة ولم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين
سنة ولو اصابه فى تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
ه فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اى هذه مختصة
بنا ونحن مستحقوها ولم نزل فى النعمة والرفاهية واللام مثلها فى قولك
الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى
ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشومهم ولولا مكانهم
لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه هذه من
عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة

وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان الحسنة وقوعه
كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا فى الندرة
ولا يقع الا شئ منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل
عددت ايام الرخاء ه طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم
عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من
الحسنة والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل
من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون
له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله النار يعرضون عليها الآية
ولا طائر اشأم من هذا وقرا الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم
لجمع طائر غير تكسير ه ونظيره التجر والركب وعند ابى الحسن هو
تكسير ه مهما هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة
للجزاء فى قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما
نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين
وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم ان مه هى
الصوت الذى يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما
تاتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل
مهما قلت الرفع بمعنى ايما شئ تاتنا به او النصب بمعنى ايما
شئ تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران فى به وبها
راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثانى انث على المعنى
لانه فى معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من
خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة فى عداد الكلمات

التي تحرّفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها وتحسب
مَهْما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس
من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية
بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر به وهذا وامثاله
مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت
كيف سمّوها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سمّوها آية لاعتقادهم
انها آية وانما سمّوها اعتبارًا لتسمية موسى وقصدوا بذلك
الاستهزاء والتلهي والتلهي هو الطوفان ما طاف بهم وغلبهم
من مطر او سيل قيل طغا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا
ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسًا ولا قمرا ولا يقدر احد
ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون
وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت
القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل
بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم
من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة
الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض و
وقيل هو موتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت
لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت
كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل
بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة

فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى فضاء فاشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا
ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وسوالحمنان
في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم
وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلي قملا وكان
يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن
سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه
فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم و
وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا
الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون
لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت
بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب
ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا
اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلي منه مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور
وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا
هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم
العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء

ومايلى القبطى الدم وللاسرائيلى الماء حتى ان المراءة القبطية تقول
لجادتها الاسرائيلية اجعلى الماء فى فيك ثم مجيه فى فى فيصير
الماء فى فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان
يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا
اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله
عليهم الرعاف وروى ان موسى عليه السلم مكث فيهم بعد ماغلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى انه لما اراهم اليد
والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يارب ان عبدك هذا
قد علا فى الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومى
عظة ولمن بعدى آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد
ثم مابعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون
الميم يريد القمل المعروف ﻫ آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى
مفصلات مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل انها من آيات الله
التى لايقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل
بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون
على ماوعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم ﻫ بما عهد
عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء
اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا
الى مانطلب اليك من الدعاء لنا بحق ماعندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ﻫ الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان
هم بالغوه لامحالة فمعذبون فيه لاينفعهم ماتقدم لهم من الامهال

وكشف العذاب الى حوله ﻫ اذا هم ينكثون جواب لما يعنى كشفناه
عنهم فاجاوا النكث وبادروه لم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا
ﻫ فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم ﻫ واليم البحر الذى
لايدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مايه واشتقاقه من التيمم
لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اى كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها ﻫ القوم الذين
كانوا يستضعفون هم بنوا اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه
والارض ارض مصر والشام ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة
والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا فى اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية
ﻫ باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق ﻫ كلمة ربك الحسنى قوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الى قوله ماكانوا يحذرون
والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بنى اسرائيل
مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه ﻫ
بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان
من قابل البلا بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار
النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف
خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة
صبر ولم يرزن رزانة اولى الصبر وقرا عاصم فى رواية وتمت
كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ﻫ ماكان
يصنع فرعون وقومه ماكانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبناء القصر ﻫ وماكانوا يعرشون من الجنات وهو الذى البناء
جنات معروشات اوماكانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء

كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي
ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس
الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من
نبإ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم
اتبعه اقتصاص نبإ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من
ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع
الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول
كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول
الله مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم
عاشورا بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله •
فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون
على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك
اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز
المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلا وعلاه وعالاه
وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه
كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت
الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد
نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم
انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى
والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم

مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل
متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا
كان فضاضا ويقال لكساد الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها
رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما
سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم
تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة
الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار
وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة
ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا • اغير الله ابغيكم الها اغير
المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون
دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه
بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من
طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله • يسومونكم
سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا
طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل
له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة
الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة • وقرئ يقتلون
بالتخفيف • روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر
ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما
يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره

بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف
فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته
بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها
عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين
يوما وان يعمل فيها ما يقربه الى الله ثم انزلت عليه التوراة في
العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها
ههنا ميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين
ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهارون عطف
بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي
فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل
ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا
الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص
مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه
من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا
به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين
يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين
رب ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر
اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك
قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي
فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن

تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا
من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي
لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف
طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته
وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك
ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض
فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم
لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين
اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء الى
قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت
ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء
وضلالا ويتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية
انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا
لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة
فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا
اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلم وهم يسمعون
فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه
ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه
اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله
وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته
فكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه

لم م

وكيف ل

من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة
عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا
اليه مقابلا بحاسة النظر وكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل
بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع
المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه
لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها
قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني
تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل
الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل على
معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى
الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف
اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك
من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة
الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر
مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق
لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه
دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على
اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة
الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر
على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف
تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته

جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق
اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض
كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء اي مدها مستوية
وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول
ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله
الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه
ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت
عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء
الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال
سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من
من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء
من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم
تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح
على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية
في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم
ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه
ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال وانا اول المؤمنين ثم
تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة
كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من
منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة
سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه
وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد

بقوله ارنى انظر اليك عرّفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة فى
جلاءها بآية مثل آيات القيمه التى تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك
اعرفك معرفة اضطرار كانى انظر اليك كما جاء فى الحديث ستَرَوْن
ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء
كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن ترانى اى لن تطيق معرفتى على
هذه الطريقه ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل
فانى اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر
مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها ه فلما تجلى ربه للجبل
فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا
لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت
وانا اول المومنين لعظمتك وجلالك وان شيا لا يقوم لبطشك وبأسك
ه اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتى
وهى اسفار التوراة وبكلامى وبتكليمى اياك ه فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من
شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة فى ذلك فهى اجل النعم
وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطى التوريه يوم النحر وان قلت
كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله نبيا قلت
اجل ولكنه كان تابعا وردا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل فى حمل
الرسالة ه ذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها انها كانت عشرة
الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت عشرة الواح وقيل سبعة
من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل
امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه
وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوريه وان طولها

كان عشرة اذرع ه وقوله من كل شىء فى محل النصب مفعول كتبنا موعظة
وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو اسرائيل محتاجين
اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة و
وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة
نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى
كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين ه فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا
ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير فى فخذها
للالواح او لكل شىء لانه فى معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولى العزم من الرسل يأخذوا
باحسنها اى فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو
والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم فى الاخذ بما هو
ادخل فى الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم و
وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز
ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف
احر من الشتاء ه ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه
وهى مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا
مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود وقرون
الذين اهلكهم الله بفسقهم فى ممركم عليها فى اسفاركم وقيل دار الفا
سقين
نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال اورنى
كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه

لى واثره لاستبينه وقرئ ساوريكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتى بالطبع على قلوب
وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها وانهماكا فيما يشغلهم عنها من
شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا عظمت امتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى وقيل ساصرفهم عن ابطالها
وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة
فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن
فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من
عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم
فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون
غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر
اى يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية
من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم
وقرى سبيل الرشد والرشد والرشاد كالسقم والسقم والسقام
وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان
راى متعسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك فى دينه اسفه ذلك
فى محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او
صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة
المصدر الى المفعول به اى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة
المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الآخرة من بعده من بعد
فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ

هو السامرى قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا
والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم
اجتمعوا عليه والثانى ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم
بضم الحاء والتشديد جمع حلى كثدى وثدى ومن حليهم بالكسر للاتباع
كدلى ومن حليهم على التوحيد والحلى اسم ما يتحسن به من الذهب
والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم تكن الحلى لهم انما كانت عوارى
فى ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى الملابسة وكونها عوارى فى ايديهم
كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من
املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم
كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامرى قبض
قبضة من تراب من اثر فرس جبرئيل يوم قطع البحر فقذفه فى فى العجل
فكان عجلا له خوار وقرأ على رضى الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من
جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين
اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه
على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو
الذى هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز فى العقول من
الادلة وبما انزل فى كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اى اقدموا على ما اقدموا
عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شىء فى غير
موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما
سقط فى ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان

من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض على يده غمّاً فتصير يده
مسقوطاً فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى فى ايديهم وهو
من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط فى ايديهم على تسمية الفاعل
اى وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم فى ايديهم اى فى
قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وان كان محالا ان يكون
فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى
بالعين ه ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبيناً كانهم ابصروه
بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب
على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام
وان لم تغفر لنا وترحمنا ه الاسف الشديد الغضب فلما
آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين ه خلفتمونى قمتم مقامى
وكنتم خلفائى من بعدى وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة
العجل من السامرى واشياعه او لوجوه بنى اسرائيل وهم
هرون عليه السلم والمؤمنون معه ويدل عليه قوله ه اخلفنى
فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة
الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما
يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس
خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم فان قلت اى معنى
لقوله من بعدى بعد قوله خلفتمونى قلت معناه من
بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من بعد ما كنت احمل بنى اسرائيل على التوحيد

واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف
من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اى من بعد
اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة ه يقال عجل عن الامر
اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن
معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم
عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به
فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم
بموتى فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروى ان السامرى
قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى
لن يرجع وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها
فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا ه والقى الالواح وطرحها
لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضباً لله وحمية لدينه وكان فى نفسه حديداً شديد الغضب
وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل
من موسى وروى ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح
تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شئ وفيما بقى الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره
اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذى استفزه
وذهب بفطنته وظناً باخيه انه فرط فى الكف ه ابن ام قرئ
بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امى بالياء
وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما

اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف
والرقه واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنه فاعتد بنسبها
ولانها هى التى قاسيت فيه المخاوف والشدايد فذكرها بحقها ه ان
القوم استضعفونى يعنى انه لم يال جهدا فى كفهم بالوعظ والانذار
وبالغته طاقته من بذل القوة فى مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه
ولم يبق الا ان يقتلوه ه فلا تشمت بى الاعداء فلا تفعل بى ما هو
امنيتهم من الاستهانة بى والاساءة الى وقرى فلا يشمت بى الاعداء
على نهى الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا تحل به ما يشمتون به لاجله
ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ولا تجعلنى فى موجدتك على
وعقوبتك لى قرينا لهم وصاحبا او لا تعتقد انى واحد من الظالمين
مع برائتى منهم ومن ظلمهم ه لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء
قال رب اغفر لى ولاخى ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه
عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه
ولاخيه ان عسى فرط فى حسن الخلافه وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته
ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والاخره ه غضب من ربهم وذلة
الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم
لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو
قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة
بضرب الجزية ه المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من
قول السامرى هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق فى الحيوة
الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب فى الاخره وذلة
فى الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا

بغضب من الله ه والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصى كلها
ه ثم تابوا اى رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا
الايمان ه ان ربك من بعدها من بعد تلك العظايم لغفور لستور
عليهم محاء لما كان منهم ه ورحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم
عام يدخل تحته متخذ العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم
اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان
عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهى
وجوب التوبه والانابة وما وراءه طامع فارغ واشعبية باردة
لا يلتفت اليها حازم ه ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل
كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا
والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع
الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم و
وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا
فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد
النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة و
وقرى ولما سكت واسكت اى اسكته الله او اخوه باعتذاره
اليه وتنصله والمعنى ولما طفى غضبه اخذ الالواح التى القاها
ه وفى نسختها وفيما نسخ منها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة ه لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان
تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرويا تعبرون
وتقول لك ضربت ه واختار موسى قومه اى من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذى اختير الرجال سماحة

قد اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين
وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه
لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان
عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا
العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل
والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في
سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم
موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد
نهما ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف
بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما
راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى
سوء مغبته لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا يعني انهلك جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية
زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي
محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام

على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من
تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت و
جعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت
سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع
في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت
لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة وتوفيقا
في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه
يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم
يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه
واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى
حركنا اليك انفسنا وامِلنا ها او حُركنا اليك وأُملنا على تقدير
فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة
ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود
المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا
بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني
اصيب به من اشاء اي من وجب عليه في الحكمة تعذيبه
ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي
حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم وكافر
ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن
من اساء من الاساءة فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة

منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها
ه الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو
القران النبي صاحب المعجزات ه الذي يجدونه يجدون نعته
اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ه ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة
كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه
من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ه ويحرم عليهم الخبائث ما
يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به
او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
ه الاصر الثقل الذي يأصر الثقل الذي صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس
في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء
الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطاء من غير
شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع النجاسة من الجلد
والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت
وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح و
غلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته وجعل فيها
طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
وقرئ آصارهم على الجمع ه وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه
عدو وقرئ التخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون
الحد لانه منع من المعاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد

والحد هو المنع ه ونور القرآن فان قلت ما معنى قوله أنزل معه
وانما انزل مع جبرئيل قلت معناه أنزل مع نبوته لان استنباءه
كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه
او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه
قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على التوبيخ
لبني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام
التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا
يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصافهم اعقابهم الذين آمنوا
برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين
لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا
معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شيء
ه اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث
محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على
الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله
قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب
على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة
والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي
هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان
للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت
بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته

وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
وكلمته على الافراد وهو القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد
اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه
وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن
لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون
ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد
قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر
لتجرى عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان الله الذي وجب الايمان به واتباعه
هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من
العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون الثابتون من
بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين و
ارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة
رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس
بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون
بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل
لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ
سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق
بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك

حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال
لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي
الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من
ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى
عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم
ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل
اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين
وهل تزيد صالحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل
وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم
نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير
والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا
وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض
ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم
به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصير ناهم
قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة
بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا
كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع
سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من

ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما
وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل
ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة
وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره
بين رماحي مالك ونهشل واُمماً بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم
امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل
واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ
اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانبعثت والمعنى واحد
وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج
تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت
لعدم الالتباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب
الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر
وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح
به ۞ وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد
كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير
تكسير كرخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال
ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما
ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم
الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه ۞ وكلوا على ارادة
القول ۞ وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم
ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم ۞
واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم ۞ والقرية بيت المقدس فان

فان قلت كيف اختلفت العبارات ههنا وفي سورة البقرة
قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله
وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد
جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة
على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما
وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو
لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا
بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم
زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد
واحد وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطاياكم
وخطيئتكم على البناء للمفعول ۞ وسلهم وسل اليهود وقرئ
واسالهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم
وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي
لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم
علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد
بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل
مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو
بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني
رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه
اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم

طبريه

في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون ادغمت التا
في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدّون من الاعداد وكانوا
يعدّون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا
فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظّمت
سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في
تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر
السبت ويدل عليه قوله يوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد
العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبِتون بضم البا وقرأ علي
رضي الله عنه لا يسبتون بضم اليا من اسبتوا وعن الحسن
لا يُسبَتون على البنا للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا
يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما
محلها من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية
والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية *
وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون
منصوبا بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان
يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل الحوت في
معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع
على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان
اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرا ته
يفعل كذا * كذلك نبلوهم مثل هذا البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب
امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا

الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا
لا يقلعون عن وعظهم * لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم
ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في
الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة
الى ربكم اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهى
الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض
الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اى وعظناهم معذرة الى
ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا
ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت
الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين هم امن فريق الناجين
ام من المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم الناهين
وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه
حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم
الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وانما
وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى
المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب
لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا
للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم لما لان يأسهم لم
يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط
حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك
باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للوا

من فريق م

عظين

لم تعظون منا قوما يزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس
انه قال ليت شعري ما فعل بهولاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة
فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم
وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد
نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا
الحيتان وروى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو
يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم
فيه الصيد وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت
شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا
يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس
فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا
تسوقون الحيتان اليها فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها
يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة
في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ
في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم
صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
وصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر
الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة
فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية
بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام
فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين

احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباها من الانس
والانس لا يعرفون انسباهم من القردة فجعل القرد ياتي نسيبه
فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل
صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا
والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها
عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه ا
عظم
عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر بئيس شديد فعال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد
فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين
ونقل حركتها الى الفاء يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة
يا كذيب في ذئب وبيس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبئيس
بوزن ربيس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس
على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا
عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم
اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا
تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تاذن
ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم
على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به

القسم كقوله سبحانه ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن
على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يودون
الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فضربها عليهم ولا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى
ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا
اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها
فلا تكاد تخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا
منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس
دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان
قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف
محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وكقوله وما
منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيآت بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون
فخلف من بعدهم المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول
الله ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم
ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا
الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى
تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل
قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا
ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل
على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا

ذنبا على سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي
هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال
اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير
تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران
له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من
ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما
فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي
عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار
رحمه الله ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا
سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم
المداهنة فهولاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله و
تلا الاية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين
يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ وورثوا الكتاب والا يقولوا
بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا افلا يعقلون بالياء والتاء
فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت
هو عطف بيان لميثاق الكتاب بمعنى ميثاق الكتاب الميثاق
المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج
عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق
وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا
مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا
تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق
فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت

على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا
وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصا
لحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا
على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسّكون
بالتشديد ويعضده قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قيل
التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف
افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة
بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب
واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور
ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما
اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف
وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان
يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم
مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها
بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم
ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل
فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر
ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر
موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر
الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرا عليه التورية الا اهتز وانغض

لها راسه خذوا ما اتيناكم اي على ارادة القول اي وقلنا خذوا
ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على
احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنوا
هي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم
فاعملوا به ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة
بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الادلة على
القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرا ابن
مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من
ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم
من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهدهم على
انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل
والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة
بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال
لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا
واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله
وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذا قالت الانساع للبطن
الحقي قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما
هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك

من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه اوكراهة ان يقولوا انما اشرك
اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة
على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه
والاقبال على التقليد والاقتدا بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك
وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من
هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله
حيث قالوا عزير بن الله وذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله
من اخلافهم المقتدين والدليل على انها في المشركين قوله او تقولوا
انما اشرك آباونا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطف
عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك
قوله وسلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ
نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا افتهلكنا
بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك
وتقدمهم فيه وتركهم سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ
نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون واراد ان يرجعوا عن شركهم
نفصلها وقرى ودرسهم على التوحيد وان تقولوا ابالبا واتل
عليهم على اليهود نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم
من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا
اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها
وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا
له او فاتبعه خطواته وقرى فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين

فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى
ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا به عليه ولم
يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب
فيها واتبع هواه الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله
ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل
بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه
تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة
عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد
الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان
يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته
التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله و
اذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد
عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك
ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم
يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان
يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه و وضعنا
منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان
تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس
الكلب منقطع الفواد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه
ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته

يلهث وان تتركه على حاله يلهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة
لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على
صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيا تنا
من اليهود بعدما قرؤا نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن
المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
فاقصص القصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون
مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك
علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك ويزداد الحجة لزومها لهم ساء
مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرا الجحدري
ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم
انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا
انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا
انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ و
اولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والانس هو
المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم
لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله
نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر
كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان و
جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا
افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات

الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه
الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر
واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض
الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في
عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلعم مع علمهم انه
النبي الموعود وانهم من جملة المكثرين الذين لا يكاد الايمان يتاتى
منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر
للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه
والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة و
قيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره
وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معاني حسنة من تمجيد وتقديس
وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها
فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه
كما سمعنا اهل البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
يا نخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا
يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن اياما تدعو فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف
الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه
الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه
بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه

كالروية وكوها وسل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة
واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال
اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن
النبي انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم من
ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام
ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين
امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين
والاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره و
تعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه
وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم
في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما
يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك
وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد
عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في
المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من
الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله
نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في
حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث
انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم محمد صلى

الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون
وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا
فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات
يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم
وما خلق الله من شيء وفي ما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء
من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان
عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير
ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا
الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول
العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة
ويكون من كانت التي فيها اضمار الشان فان قلت
م يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ونذرهم
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل
الله لا يهده احد ويذرهم يسالونك قيل ان قوما من اليهود
قالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى
هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استاثر بعلمها

وقيل السائلون قريش والساعة من الاسما الغالبة كالنجم للثريا
وسميت القيمة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او
على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من
الساعات عند الخلق ايان يعنى متى وقيل اشتقاقه من اى فعلان
منه لان معناه اى وقت واى فعل من اويت اليه لان البعض
آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جنى وابى ان يكون من اين
لانه زمان واين مكان وقرا السلمى ايان بكسر الهمزة مرساها
ارساؤها او وقت ارسائها اى اثباتها واقرارها وكل شئ
ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
والمرسى الانجر الذى ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله
ثقلت فى السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله ﴿ انما
علمها اى علم وقت ارسائها عنده ربى استاثر به لم يخبر به
احدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون
ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص
وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اى لا يزال خفيه لا
يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاءها فى
وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار
اخفائها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت فى السموات والارض
اى كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة
ويوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه
او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها و
اهوالها او لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها

الا بغتة الا فجاة على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض
ميزانه ويرفعه كانك حفى عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك
بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسئلة عن الشئ والتنقير
عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة
ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى فى
المسئلة اذا الحف وحفى بفلان وتحفى به اذا بالغ فى البر به
وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرا ابن
مسعود كانك حفى بها اى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها
متعلق بيسالونك اى يسالونك عنها كانك حفى اى عالم بها و
قيل عنها متعلق بيسالونك اى يسالونك عنها كانك حفى بك
عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفى تتحفى
بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن
غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى اخبارك به
لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر
ما اوحى اليك وقيل كانك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره
يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استاثر
الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قيل ـــ لم كرر
يسالونك وانما علمها عند الله قلت ـــ للتاكيد ولما جاء به
من زيادة قوله كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق

زباك فايك

في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب
أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأنه
المختص بالعلم بها قل لا أملك هو إظهار للعبودية والانتفاء عما
يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك
لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد إلا ما
شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب
لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار
المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم
أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا
في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد
أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم
يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة
والبشارة إنما ينفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون
المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم
يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها
وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من
جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن
إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس
وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإ
نسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال
ليسكن فذكر بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا
إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي

لبة

يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا
للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان
حملت حملا خفيفا فمرت به خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض
الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه
وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه علي كبدي حين
حملته فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا
إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت
به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن
يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية
كقوله أفتمرونه وأفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن
الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك
أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل
دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي
هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت
لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وسوي وقيل ولدا ذكرا
لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن
لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من
الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما
آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك قوله فتعالى الله
عما يشركون أيشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من
الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد

آتي م

مناف، أم غ

العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله
وعبد الرحمن وعبد الصمد ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب
لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل
قصي الا ترى الى قوله في قصته لهم سعيد بما لقصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يبارى ويسودد والمراد هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتيهما ما
طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما آتيهما حيث سميا
اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد
الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا
بهما في الشرك وهذا التفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا
اى ذوي شرك وهم الشركا او احدثا لله اشراكا في الولد اجريت
الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم
فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى اشركون ما لا يقدر على خلق
شي كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلا ق
شي لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يخلقونهم فهم اعجز من عبدتهم
ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون
عنها ما يعتريها من الكوارث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم
ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هم اى الاصنام الى
الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان
تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى
مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فا
دعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم

قيل قصي
له م
اى م

ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل
ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم
كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس
ضر وكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل
ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه
من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم
وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
استهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت
ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا
امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون
امثالكم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا
امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية
قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا
انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول مثل هذا الا
واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب
الذي اوحي الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه و لا
يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا

اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون
وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال
الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا
تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام
يسروا ولا تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي
في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذ (لك)
قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها و
العرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا
تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما
يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى
اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم
الاخلاق وليس في القران آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك
من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته
على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ
الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله
عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر
من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا ... اي الم بك الخيال
يطيف او هو كضيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين

كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا
وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ
الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من
الشيطان والمامه بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه
انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشيا(طين)
يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ
يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون
ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا ويجوز ان
اخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر
جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين
ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على
ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا
فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد
قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت
اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او
جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها
والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك
لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة
عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات
او لست بمقترحها هذا بصائر هذا القران بصائر من
ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو

او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلاة
وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القرآن
وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا
له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر
ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون
الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص
واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين
او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات
وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصد واعتم
وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون
عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة
صلوات الله عليهم ومعنى عند الدنو والزلفة والقرب من
رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون
ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم
من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الا
عراف جعل الله له يوم القيمة سترا بينه وبين ابليس وكان آدم
شفيعا له يوم القيمة تم الجلد الثاني من الكشاف عن
حقائق التنزيل للشيخ الامام العلامة جار الله فخر خوارزم محمود
بن عمر الزمخشري رضي الله عنه ونور مضجعه
وقد قوبل هذا الدفتر من نسخة شهاب الدين الكراني
رحمه الله عليه ولكنه لم تقابل بها

على يدي محمد بن كمال الفقير بيلغاري
الخميس للكامل
من ... سنة

[Margin notes:] ومعنى عند دنو الزلفة نسخة — القيامة نسخة — وصال النهر وهو حلول العتمة